ثورة العشرين
في
الاستشراق السوفيتي

تأليف

الدكتور كمال مظهر أحمد

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

١٩٧٧

ثورة العشرين

في

الاستشراق السوفيتي

تأليف

الدكتور كمال مظهر أحمد

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بغداد ـ مطبعة الزمان

١٩٧٧

مقدمة

تحتل «ثورة العشرين» بأحداثها وزمانها مكانة بارزة في تأريخ العراق المعاصر • وبالرغم من الدراسات الكثيرة المكرسة لها فان جوانب عديدة منهـا ما تزال بحاجـة الى تقص عميق لا تأريخي فحسب ، بل وكذلك اجتمـاعي واقتصـادي وادبي • فبالنسبة لهذا الاخـير ، مثلا ، يحق لنـا ان نسأل : ألا تحتوي أحداث «ثورة العشرين» على مواضيع حساسة من شأنها تحريك وجدان القاص العراقي ليقدم للناس دروسـا معبرة ونماذج حية تجسد بطولات الاف الشهداء الذين وضعوا اللبنـة الاولى في صرح استقلال البلاد وسيادتها الوطنيـة ؟ • أما الاسـئلة التي تفرض نفسها في المجال التأريخي فانها تزيد اهمية من ذلك بكثير•

جذبت «ثورة العشرين» انظار المستشرقين السوفيت منذ بداية العشرينيات ، فتطرق الى وقائعها عدد كبير منهـم • وهم متفقون جميعا على تقييمها عاليا • كما انهم تطرقوا الى مواضيع مهمة هيأت ظروف انفجار الثورة أو رافقتها أو نجمت عنهـا ، باسلوب قلما نجد له مثيلا في الدراسـات الاخرى ، ولاسـيما الدراسات الاجنبية التي تطرقت الى الموضوع بشكل أو بآخر• وأخيرا فان بحوث المستشرقين السوفيت عن «ثورة العشـرين» تحتوي على معلومات مفيدة نادرا ما اطلع عليها القارىء العراقي• كل ذلك دفعني الى اعداد هذه الدراسة التي أرجو ان تكـون مساهمة في وضع «الثورة على منضدة التشريح العلمي» بقصد دراستها «دراسـة موضوعيـة في مختلف جوانبهـا الحسـنة

والسيئة»[1]. وارتأيت ان يكون البحث المكثف عن الاستشراق الروسي ومن ثم السوفيتي بمثابة مدخل الى صلب الموضوع لا لانه يحتوي على معلومات قد تكون مفيدة بالنسبة للدارس والمتتبع وطريفة بالنسبة للقارىء فحسب ، بل كذلك لان من شأنه تقديم صورة أوضح للامكانات التي اعطت عددا كبيرا من المستشرقين قدرة التطرق الى جوانب شتى من« ثورة العشرين » باسلوب جاد .

---

(١) الدكتور علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الخامس (حول ثورة العشرين) ، القسم الاول ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٤ .

لمحة عن الاستعراب الروسي والسوفيتي

جذب الشـــرق كمهبط للوحي ومبعث للاديان الرئيســة ، وكنقطة اشعاع للحضارات الاولى، وكأغنى بقاع «العالم القديم» قاطبة ، جذب أنظار الاوروبيين على مر العهود باشكال مختلفــة وبدوافع متباينة جاء تغييرها أمرا حتميــا لازم تغيــير الظروف . ولئن كنا نعرف الكثير عن اهتمامات سكان الغرب والى حد أقل الوسط الاوروبي بهذا الشرق ، فان ما نعرفه عــن اهتمامــات مشابهة لسكان الشرق الاوروبي يكاد يكون قريبا مــن بعض التصورات الغامضة وصلنا الكثير منه ، ان لم يكن كله ، عــن طريق «المياه الدافئة» التي تطرق الى جوانب معينــة منهــا كل مؤرخ غربي قدم شيئا عن أطماع روسيا القيصرية في أقطـــار الشرقين الادنى والأوسط . أما ما يسبق ذلك فان ما نعرفه عنــه ليس أكثر من بداية الدرس الاول في درب علمي طويل وشائك بامكان بحثه اعطاء اجوبة مقنعة على أسئلة تأريخيــة واحيانــ سياسية تفرض نفسها بالحاح ، او على اقل تقدير يكون من شأنه اعطاء صورة مفيدة وشيقة عن تاريخ ماض وسيط وحديث . او ليس من الطريف والمفيد بل وحتى من الواجب ان نعرف انه كان للروس أكثر من (ابن فضلان) واحد بلغوا أقاصي المنطقة منذ قرون مضت وكان لكل منهم هدفه ولمعظمهم واجباته . لاشك ان بامكاننا ان نصل الى شيء ما جديد من خلال أحاديث رئيس الدير الروسي دانيال الذي قضى حوالي العامين (١١٠٦ــ١١٠٨) في مناطق شرقية حساسة شهدت صدامات مصيرية رافقت وصول

حملة الصليب الى ارضها يومذاك • فلقد بلغ دانيال القدس بعد سقوطها بيد الصليبيين بفترة وجيزة وسجل ملاحظات ومعلومات عن مناطق ومظاهر زارها تدخل اليوم في عداد الاثار المفقودة ، وتكلم بتفصيل عن ثروات القدس الطائلة وعن الاعداد الكبيرة من الخنازير و «النمور الرقطاء» والاسود وغيرها في حوض الاردن ، ووصف معارك وقعت بين الصليبيين والمسلمين و زار المعسكرين حيث حظي باحترام الطرفين فاصبح لكل ما سجل قيمته كمصدر أصيل مما دفع الاخرين لترجمته الى الفرنسية والالمانية واليونانية لاغراض علمية جغرافية ــ أثنوغرافية وتأريخية[1] •

وبعد فترة ذهب القسيس اگريفين الى مناطق ابعد من التي بلغها سلفه • فقد زار في سبعينيات القرن الرابع عشر الى جانب القدس كلا من دمشق وأنطاكيا ووصل القاهرة والاسكندرية وكتب بدوره عن «فواكه الاردن الكثيرة» وعن «تفاحه الفردوسي» وعن انتاج العرب لكميات كبيرة من الزجاج في فلسطين[2] • ومن بعده قطع قاسيلي آسيا الصغرى كلها ، ثم زار سوريا وفلسطين ووصل في كانون الاول من العام ١٤٦٥ الى مدينة القاهرة بعد ان مر قبل ذلك بحلب وحماه وحمص ودمشق والرملة وغزة فأصبح الاول من بين الروس الذين سلكوا مثل هذا الطريق

---

(١) للتفصيل راجع : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٧٣ ، ص ٨ــ١٠ .

(٢) طبعت رحلته في بطرسبورغ في العام ١٨٩٦ (راجع : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ١٣ ، ٤٢٠) .

لبلوغ الاراضي المقدسة ووادي النيل • وخلال جولته في هذه الديار ، التي استغرقت ثمانية أشهر ، سجل قاسيلي ملاحظات قيمة عن مواقع المدن والانهار ونظم الري والحمامات ، عن الاسواق التجارية والخانات وعن أسوار المدن وتحصيناتها ، عن السكان ومعتقداتهم • فان مدينة حلب ــ كما يذكر قاسيلي ــ كبيرة لدرجة يمكن مشاهدتها على بعد كبير • وفي دمشق تجارة نشطة • وان القاهرة كبيرة جدا جدا ، ففيها الاف «من الشوارع والدرابين» التي «تضيئها المصابيح الزيتية» وتحيط بها آلاف مؤلفة من الدور[٣] • ومن بعده باقل من قرن حدد ڤارسانوفي مساحة القاهرة باربعة وعشرين ميلا مربعا (قدر عرضها بميلين وطولها باثني عشر ميلا)[٤] •

تتابعت «الرحلات الروسية» وتشعبت نتائجها وتنوعت دوافعها • فان زاسيم الذي وصل الى القسطنطينية وبعدها زار فلسطين (نيسان ١٤٢٠) ومنها ذهب الى قبرص ، ترك لنا ، من بين ما ترك ، قائمة تحمل أسماء «الاصقاع التي كانت تخضع لسلطان مصر» مع ذكر دقيق لحكام القاهرة ودمشق أشاد باهميتها الاكاديمي كراچكوفسكي[٥] • وازداد بالتدريج عدد التجار الروس الذين وصلوا الى العديد من مدن آسيا الصغرى

---

(٣) راجع : ب.م. دانتسيگ ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٦٥ ، ص٢٠ــ٢١ . طبعت رحلة قاسيلي في بطرسبورغ في العام ١٨٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٥) الاكاديمي ايگنات يوليانوڤيچ كراچكوفسكي ، دراسة عن تأريخ الاستعراب الروسي ، باللغة الروسية ، «المؤلفات المختارة» ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٥٨ ، ص ١٦ــ١٧ .

والمشرق العربي ، وكرسوا السنين من حياتهم لهذا الغرض • فان الرحلة التي قام بها التاجر ڤاسيلي ياكوڤليڤيچ گاگار استغرقت اكثر من ثلاث سنوات وشملت مدن القسطنطينية وديار بكر واورفة وحماه وحلب وحمص ودمشق ونابلس والقدس وغزة والقاهرة والاسكندرية • وتكلم عن غوطة دمشق وفواكهها التي أكد انه «لا مثيل لها في العالم كله» • واعطى وصفا دقيقا لمشاق الطريق الى القاهرة التي جلبت منائرها الكثيرة وقلعة الحاكم فيها مع خصوبة وادي النيل واسلوب انتاج السكر في مصر وغير ذلك من الامور انتباهه فسجل عنها ملاحظاته[٦] •

ولئن كنا نعرف الكثير عن رحلة اول اوروبي غربي الى الهند عن طريق البحر وعن دور «ليث البحر» أحمد بن ماجد في ارشاده من ماليندي[٧] وعن تدشين كل ذلك بداية التغلغل البرتغالي في الخليج العربي ، فاننا لا نعرف حتى الان ان التاجر الروسي أفناسي نيكيتين قد سبق ڤاسكودي گاما الى الهند بما لا يقل عن ربع قرن • وكما يذكر الاكاديمي كراچكوفسكي فانه يتفوق على الغربيين الى حد كبير بما يقدم من معلومات • ويورد وصفه لمضيق هرمز في مدخل الخليج العربي دليلا على ذلك ويقول عنه «انه يتباهى قليلا لمعرفته لغات شرقية مختلفة واذ

---

(٦) راجع : ب.م. دانتسيگ ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، ص ٣٠–٣١ .

(٧) نقصد بذلك رحلة فاسكودي گاما في العام ١٤٩٨ والتي أدت الى الكشف لاول مرة عن طريق بحري مباشر من أوروبا الى الهند وذلك في عهد الاستكشافات الجغرافية الكبرى .

الكلمات العربية ــ الفارسية التي يوردها كثيرة للغاية ...»[٨].

كان من الطبيعي ان يزداد عدد الرحالة الروس المتنوعي الاهتمامات الذين زاروا بلدانا مختلفة داخلة في اطار الامبراطورية العثمانية ، بشكل متواز مع تنامي احتكاك الروس بتلك الامبراطورية . وقد قضى بعض هؤلاء الرحالة سنوات عديدة يجوبون خلالها تلك البلدان ويجابهون الاخطار والاهوال في سبيل جمع اكثر ما يمكن من المعلومات التي تحولت فيما بعد الى دليل عمل مساعد للتغلغل الروسي في المنطقة . فيتحدث مؤلف عسكري مجهول في مخطوطة له تحمل اسم «وصف الامبراطورية التركية» عن رحلة طويلة قام بها في مناطق جد شاسعة من الشرق الاوسط وشمالي افريقيا في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر ، استغرقت حوالي ٦٣ شهرا ، وبالتحديد خمس سنوات وشهرين وعشرين يوما زار خلالها القدس والاسكندرية وابوقير وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وغزة ويافا ودمشق وبيروت وحلب والموصل وبغداد وغيرها . وكما جاء في تعليق لناشر هذه الرحلة كتبه في العام ١٨٩٠ فانه «لم يقطع أوروبي آخر في ذلك العهد مثل هذه المساحة الواسعة من الامبراطورية التركية ولم يلاحظ كل هذه الخصائص فيها كما فعل مؤلفنا»[٩] . وكرجل عسكري جلبت انتباهه قضايا لم تجلب انتباه الاخرين الا فيما ندر في مثل ذلك الوقت المبكر .

---

(٨) أ. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ١٥ــ١٦ .

(٩) مقتبس من : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ٣٤ــ٣٥ .

فهو يتحدث بشيء من التفصيل عن «خصائص العرب الحربية» وعن «خوفهم من الاسلحة النارية» و «تفننهم الكبير في معارك الفرسان»(١٠) ويعطي معلومات مفصلة مهمة عن مواقع الجبال والانهار ، عن اسوار المدن وقلاعها ومداخلها ووجود المدافع فيها او عدم وجودها .

وعن طريق هذه المصادر وغيرها يمكن التوصل الى معلومات تاريخية نادرة بامكانها احيانا تقديم صورة اشمل لاحداث ومواضيع لنا فيها اطلاع اكثر من غيرها . او ليس من الطريف ، بل المفيد ، ان نقرأ ان والي بغداد «داود باشا بعث قبل اعوام ثلاثة مضت ممثلا عنه الى جورجيا بقصد نيل السماح لوالدته بالسفر اليه في بغداد . الا انها ... رفضت باصرار الذهاب الى ارض المسلمين وفضلت حياتها في موطنها الارثدوكسي على حياة النعيم التي كانت تنتظرها في بغداد»(١١) .

في الامكان ايراد أمثلة اخرى كثيرة عن توجهات الروس المبكرة نحو مناطق الشرق الاوسط بدوافع كانت في البداية دينية وتجارية . ومع ظهور السياسة كعنصر محرك جديد دخلت التوجهات تلك مرحلة جديدة ، واتخذت لها طابعا اكثر جدية وتنظيما عما كان عليها في السابق . وكما هو معلوم كانت الحروب الروسية ـ التركية تشكل ذروة التعبير عن التوجه الروسي نحو «المياه الدافئة» الجنوبية واصقاع الشرق الاوسط

---

(١٠) راجع : ا. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ١٧ .

(١١) مقتبس من : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ١٤٧ .

الغنية • فقد شهدت الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الثاني من القرن التاسع عشر سلسلة حروب وقعت بين الدولتين من أجل السيطرة على سواحل البحر الاسود والمناطق القريبة منها ــ القفقاس والبلقان مع امتدادات الاولى منها • ان هذه الحروب التي بلغ عددها عشرا وتجاوز مجموع سنواتها ثلاثين عاما ، ازدادت ضراوة وتأثيرا على العلاقات الدولية بشكل متواز مع ازدياد اطماع روسيا وانحلال الامبراطورية العثمانية وتهافت الدول الاوروبية الكبرى على اصقاع الشرق الاوسط المختلفة • ثم جاء مشروع سكة حديد برلين ــ بغداد ورد الفعل الروسي ازاءه ليضفي على المخططات الروسية بعدا جديدا آخر • وقد خصص الروس عشرات الدراسات المستفيضة ووضعوا الخرائط المفصلة للبحث في جميع الاوجه المتعلقة بمشروع سكة حديد بغداد•وبعثوا عددا كبيرا من الاختصاصيين لتعقيبه خطوة فخطوة • وبسرعة بدأ الموضوع ومعه كل ما يتعلق بالمنطقة وسكانها يحتل حيزا كبيرا من التقارير الدبلوماسية المفصلة التي كانت تصل الى وزارة الخارجية الروسية من مصادر شتى عسكرية ومدنية ومن مصادر ذات طابع استخباري(١٢) •

ان القضايا التي عرضناها بشكل مركز للغاية ، فضلا عن عوامل اخرى ، هيأت ارضية مناسبة لظهور الاستشراق الروسي وتطوره بسرعة • فالى جانب الدراسات السوقية والاقتصادية

---

(١٢) راجع : المهندس يو . ليبيديف ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، باللغة الروسية ، بطرسبورغ ، ١٩٠٨ ، ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٥ وغيرها .

بدأت دراسة الشرق علميا في روسيا منذ القرن الثامن عشر[١٣] واستطاعت ان تقطع شوطا كبيرا من التطور خاصة في القرن الماضي الذي شهد ميلاد عدد من المؤسسات التي أولت دراسة بلدان الشرق وشعوبها اهتماما كبيرا مثل «المتحف الاسيوي التابع لاكاديمية العلوم الروسية» الذي تاسس في العام ١٨١٨ في بطرسبورغ ، وقسم الدراسات الشرقية في جامعة بطرسبورغ وقد تم فتحه في العام ١٨٥٥ ، وقسم دراسة اللغات الشرقية التابع للدائرة الاسيوية في وزارة الخارجية الروسية الى جانب جمعيات علمية جغرافية واركيولوجية مختلفة . ان النجاحات التي تم تحقيقها داخل هذه المؤسسات جعلت من المؤرخ المعروف الاكاديمي بارتولد (١٨٦٩ ــ ١٩٣٠) يرى ان الاستشراق الروسي قد تمكن من تحقيق نجاحات اكبر مما حققتها نظائره في بلدان اوروبا الغربية خلال القرن الماضي[١٤] .

بدأ الاستعراب يظهر ويتطور كحقل خاص ضمن الاستشراق الروسي في الفترة نفسها تقريبا . ففي تعليقه على الاستعراب الروسي في القرن الثامن عشر يقول كراچكوفسكي : «ان الحاجة لمعرفة الشرق والثقافة العربية في ذلك العهد أصبحت ملموسة دون شك»[١٥] . وحتى قبل ذلك، وكما يؤكد المستعرب

---

(١٣) ترتبط الخطوات الاولى لظهور الاستشراق الروسي كحقل علمي مستقل بتاسيس اكاديمية العلوم الروسية في العام ١٧٢٤ حيث بدأ بعد ذلك ظهور دوريات أولت الشرق وشعوبه اهتماما من نوع جديد .

(١٤) ف. بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، باللغة الروسية ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ٢٣٢ .

(١٥) أ. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص٤١ .

الضليع نفسه ، وجدت الكلمات العربية طريقها الى اللغة الروسية، واصبح لنتاجات الحضارة العربيـة ـ الاسلامية تأثيرهـا على حقو لمعينة من الدراسات الفلكية والطبية وغيرها في روسيا[١٦] بحيث ان شخصية علمية بارزة مثل لومانوسوف (١٧١١ـ١٧٦٥) الذي تحمل جامعة موسكو اسمه اليوم أخـذ يهتم بالمصـادر الاصيلة لبعض العلماء المسلمين الكبار[١٧] منهـم موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي[١٨]. وكما يؤكد كراچكوفسكي نفسه فان الجذور الاولى للاستعراب الروسي بدأت من نبتـة أصيلة غير مقتبسة من الاستعراب الاوروبي[١٩] ، مما يعكس ، بدون شك ، طبيعـة الاحتكاك المباشـر بين المنطقتـين وتنامي الحاجات الجديدة داخل المجتمع الروسي الاقرب من غيره مـن المجتمعات الاسلامية ومن المشرق العربي .

ولا يمكن بكل تأكيد فصل تطور الاستعراب الروسي عن توجهات القياصرة نحو الجنوب ، وبشكل خاص نحو الاصقاع

---

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨ـ٢٩ .

(١٧) راجع : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ٧٤ـ٧٥ .

(١٨) هو موفق الدين عبداللطيف بن يوسف بن محمـد بن علي البغدادي ويعرف بابن اللباد . من فلاسفة الاسلام وأحـد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمـة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والادب . مولده ووفاته ببغداد (للتفصيل عنه راجع : «الاعلام» للزركلي ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، بيروت ، بلا ، ص ١٨٣ـ١٨٤) .

(١٩) أ. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجـزء الرابـع ، ص ٢٩ .

الاسلامية المجاورة لبلادهم ، والتي شكلت سلسلة الحروب الروسية ـ التركية والروسية ـ الايرانية نتيجة حتمية لازمت أحداثها . وهنا نورد بعض الشواهد القليلة لالقاء الضوء على جوانب من هذا الموضوع . ففي كانون الثاني من العام ١٧١٦ صدر قرار خاص من مستوى عال يقضي باختيار خمسة من شبان موسكو لارسالهم الى ايران بقصد تعلم اللغات العربية والفارسية والتركية . ولم تأت اهتمامات بطرس الكبير (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥) الشخصية بالاسلام عبثا[٢٠] . فقد تم بامر خاص منه طبع الترجمة الكاملة للمصحف الشريف لاول مرة في العام ١٧١٦ . اما القيصرة كاترين الثانية (١٧٦٢ ـ ١٧٩٦) فانها أمرت بطبع النص العربي للمصحف الشريف في بطرسبورغ بقصد نشره بين مسلمي روسيا كجزء من حملة بلادها الدعائية أثناء حروبها مع تركيا . وللقيصرة كاترين مراسلات خاصة بهذا الصدد[٢١] . ولم ينته القرن الثامن عشر حتى تم اصدار ترجمتين جديدتين للقرآن ، ويقدر بعض المتخصصين مجموع اصداراته خلال ١١ عاما (من ١٧٨٧ حتى ١٧٩٨) بست مرات[٢٢] .

ومن جانب آخر ظهر تدريس اللغة العربية بشكل منظم

---

(٢٠) يربط الاكاديمي كراچكوفسكي المحاولات الاولى لوضع اسس الاستعراب علميا بنشاطات بطرس الكبير الذي يشكل عهده نقطة تحول مهمة في حياة روسيا السياسية والاقتصادية والثقافية (عن رأي كراچكوفسكي راجع ص ٣٥ من بحثه الانف الذكر) .

(٢١) للتفصيل راجع: أ. كراچكوفسكي، المصدر السابق، الجزء الرابع ، ص ٤٠ـ٤١ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤١، ٥٣ .

في مدراس روسيا ، ولا سيما في استراخان ، في وقت مبكر • ففي العام ١٧٦٤ كانت توجد مدرسة في أستراخان تدرس العربية لاطفال الجنود • وفي بداية القرن التاسع عشر بدأ تدريسها في بعض المدارس الثانوية وفي الوسط الجامعي • ومنذ ذلك الوقت أخذ البعض يولون دراسة النحو والصرف العربيين وقضايا اخرى ذات صلة مباشرة بالاستعراب جانبا من اهتماماتهم العلمية(٢٣) • وكان يوجد بين هؤلاء بعض المستشرقين المعروفين من أمثال مؤسس المتحف الاسيوي ، بل الاستشراق الروسي خ•د•فريين (١٧٧٢ — ١٨٥١) الذي درس ماضي الروس بالاستناد الى المصادر العربية القديمة(٢٤) • ومن بين الذين يستحقون الاشارة اليهم في هذا المجال الاديب يوسف ايفانوفيج سينكوفسكي (١٨٠٠ — ١٨٥٨) الذي يعتبر واحدا من أبرز رواد الاستشراق الروسي وأقدرهم ، وقد نال لقب البروفيسور ولم يبلغ من العمر سوى ٢٢ عاما فقط وعمل استاذا في القسم العربي بجامعة بطرسبورغ بشكل متواصل على مدى ربع قرن كامل (من العام ١٨٢٢ حتى العام ١٨٤٧) ، وهو الى جانب معرفته الكاملة بالعديد من اللغات الشرقية ، درس كذلك الشرق القديم بما في ذلك تاريخ البلدان العربية قبل الاسلام والادب

---

(٢٣) يوجد مخطوط في النحو العربي وضعه الروسي سكيبنيفسكي في العام ١٨١٠ .

(٢٤) من أهم دراساته في هذا المجال :

"Ibn — Fozlan's und anderer Araber Berichte über die Russen älterer Zeit", S. — Pbg., 1823.

الكلاسيكي العربي الذي ترجم صفحات مختلفة منه الى الروسية كما سجل ايضا رحلاته الى الاقطار الشرقية التي زارها في الفترة ١٨١٩ ــ ١٨٢١ .

ومن المؤشرات الجديرة بالذكر لتبيان مدى تطور الاستعراب الروسي ان آثار الاستعراب وجدت له بعض الانعكاسات في الحياة الثقافية وبين الاوساط الادبية الروسية . فقد ظهرت ترجمة «الف ليلة وليلة» لاول مرة في اثني عشر مجلدا طبعت خلال ثمان سنوات في ستينيات القرن الثامن عشر واعيد طبعها خلال اربعين عاما فقط أربع مرات اخرى[٢٥] . والاهم من ذلك ان عددا من ابرز الادباء الروس تأثروا بشكل او بآخر بحركة الاستعراب وتناجاتها في بلادهم ، منهم الشاعر الكبير پوشكين (١٧٩٩ ــ ١٨٣٧) الذي أعد دراسة خاصة عن المصحف الشريف[٢٦] وابدى اعجابه الشديد بالقصيدة العربية ، ولاسيما بتناجات سينكوفسكي عن الادب العربي . ففي تعليق له عنها ذكر ما نصه : «ان الحكاية العربية لرائعة حقا»[٢٧] . وقبل پوشكين جلب التاريخ والادب العربيان نظر الكاتب الروسي المعروف گوگول (١٨٠٩ ــ ١٨٥٢) الذي كتب عن الخليفة

---

(٢٥) يعتبر الاكاديمي كراچكوفسكي ذلك دليلا واضحا على النجاح الكبير الذي لقيته الترجمة الروسية لقصص «الف ليلة وليلة» في الوسط الثقافي الروسي يومذاك (راجع : ا. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص٤٢) .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(٢٧) مقتبس من : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ١٢٥ــ١٢٦ .

المأمون وعن الاسلام[٢٨] . ولا بأس في ان نشير هنا ايضا الى ان الموسيقار الكلاسيكي العالمي المعروف ريمسكي كورساكوف (١٨٨٤ — ١٩٠٨) ابدى بدوره اعجابه بالموسيقى العربية واقتبس منها مقاطع في اعماله الفنية .

العراق في الاستشراق الروسي والسوفيتي

اصبح للعراق موقع بارز في الاستشراق الروسي وفي الدراسات الروسية المختلفة عن الشرق منذ البداية . فمثلما لاحظنا ، زار العديد من الرحالة الروس المدن العراقية المختلفة . ومع احتدام الصراع الاوروبي من اجل التغلغل في اصقاع الشرق الاوسط تضاعفت اهمية العراق في نظر القياصرة وذلك بحكم موقعه وثرواته ووزنه في العالم الاسلامي . وبالنسبة لهذا الاخير فان انظار مسلمي روسيا كانت موجهة نحو العراق اكثر من اي مركز اسلامي آخر[٢٩] . ومنذ القرن التاسع عشر ظهرت قنصليات روسية في بعض المدن العراقية الكبيرة كما زار بعض المستشرقين الروس البلاد وكتبوا عنها . ومن هؤلاء أي.ن.بيريزن (١٨١٨ — ١٨٩٦) الذي زار بغداد والبصرة وكربلاء وبابل والموصل واربيل وغيرها في اواسط العام ١٨٤٣

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٦٣—١٦٤ . راجع كذلك : «غوغول يتحدث عن المأمون» ، ترجمة كامران قره‌داغي ، — «آفاق عربية» ، العدد ٩ ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢٩) نجم ذلك عن القرب الجغرافي ووجود الاماكن المقدسة ودراسة معظم علماء المنطقة البارزين في مدارس العراق الدينية والفلسفية .

ودرس المنطقة ونشر في العام ١٨٤٨ بحثا بعنوان «مشاهد على الفرات» أعطى فيه وصفا شيقا لغابات النخيل على جانبي شط العرب حيث ان الانسان بالرغم من «سهولة العيش هناك» يكون «في تنقل مستمر» خاصة وانه «يهرب من الاستبداد التركي» • وفي بحثه الاخر «الموصل» الذي نشره في مجلة «المكتبة للقراءة»[٣٠] (الجزء ١٣٣ ، تشرين الاول ١٨٥٥) يعطي وصفا دقيقا لمدينة الموصل والحياة فيها ويشير الى وجود انكليز وفرنسيين وامريكان في المدينة •

منذ اواخر القرن الماضي ازداد اهتمام الاوساط الرسمية الروسية بالعراق • وقد اعطاها اشتراكها في لجنة تخطيط الحدود بين الدولتين العثمانية والايرانية[٣١] امكانات أكبر للاتصال المباشر بعشائر المنطقة وزيارة ممثليها للعديد من المدن العراقية • فقد زارت اول بعثة روسية برئاسة العقيد ي•چيريكوف الموصل في اواخر نيسان ١٨٤٩ وانتقلت منها عن طريق دجلة الى بغداد • وكتب چيريكوف عن رحلته يقول : «لقناعتي بان في امكان صور تفصيلية للمدن الاسيوية ••• ان تكون مفيدة للبحوث والدراسات الجغرافية والاركيولوجية كذلك فقد بذلت قصارى

---

(٣٠) « المكتبة للقراءة ــ أو للمطالعة ــ » مجلة شهرية كانت تصدر في بطرسبورغ في الفترة من العام ١٨٣٤ حتى العام ١٨٦٥ ، أولت نشر البحوث المتعلقة بالشرق جانبا كبيرا من اهتمامها .

(٣١) تقرر بموجب اتفاق أرضروم بين الدولتين الايرانية والعثمانية في العام ١٨٤٧ حول اعادة تخطيط الحدود بينهما ، تشكيل لجنة خاصة لانجاز هذه المهمة يشترك فيها ممثلون عن تركيا وايران وروسيا وانكلترا .

جهدي كي لا تترك مدينة او موقعا تاريخيا على طريق البعثة الروسية دون تبيان تفاصيلها في المخططات»[٣٢] . وقد أمضت البعثة الروسية هذه سبعة اشهر في بغداد زارت خلالها العديد من مدن ومناطق الفرات الاوسط . وفي كانون الاول من العام ١٨٤٩ توجهت عن طريق دجلة الى البصرة ومن هناك سارت الى الخليج وبعد فترة نشر چريكوف بحثا عن سفرته تضمن انطباعاته وملاحظاته وتعليقاته على الاحداث . وكما يقول البروفيسور دانتسيگ فان «لملاحظات چيريكوف عن عشائر اللور والبختيارية والعربية والكردية أهمية كبيرة للغاية» خاصة وانها تحتوي ــ كما يؤكد ــ على معلومات جغرافية كانت تعتبر جديدة في بابها بالنسبة لذلك العهد . وكما يؤكد المستشرق فان أهم قسم من بحث چيريكوف هو الفصل الخاص ببغداد وضواحيها مع وصف المؤلف للرحلات التي قام بها مع اعضاء البعثة الى كربلاء والنجف[٣٣] .

وفي العام ١٩٠٢ قامت بعثة روسية اخرى بقيادة ضابط الاركان العامة ب.شيولكوڤنيكوف بزيارة للولايات العثمانية الثلاث في العراق وبعد عودته مباشرة (في العام ١٩٠٤) نشر كتابا ضخما تحت عنوان يعبر بوضوح عن مضمونه وعن اهداف البعثة : «الجيش وموقع الفرقة التركية السادسة (ولايات بغداد والموصل والبصرة) . تقرير عن مأمورية الى بلاد ما بين

---

(٣٢) مقتبس من : ب.م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، ص ٢١٧ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ــ٢١٨ .

النهرين في ١٩٠٢ ــ ١٩٠٣» . وقد قيم المتخصصون هذا الكتاب عاليا لما يحتوي عليه من معلومات غنيـة ومفيـدة عن الوضـع السياسي في العراق ومناطق الخليج آنذاك . ومن بين ما يشير اليه شيولكوفنيكوف التغلغل الواسـع الذي حققـه الانكليز وموقعهم الممتاز في السوق واحتكاكهم الكبير بالعشائر . ومن المفيد ان نذكر انه قدر سـكان الولايات الثلاث بثلاثة ملايـين واربعمائة الف شخص وقدر عدد افراد القبائل العربية والكردية المتنقلة بحوالي مليون ومائة الف شخص[٣٤] .

سرعان ما تحولت التقارير الدبلوماسية الى مصدر مهم جدا للاستشراق الروسي عن العراق . ويجدر بنا ان نشير هنا بشكل خاص الى الكتاب الضخم الذي الفه القنصل الروسي في البصرة أ.أداموف والذي يقع في ٦١٦ صفحة مـن الحجم الكبـير [٣٥] يتناول بالبحث المستفيض مجموعة من القضايا المهمة من قبيـل الوضع الجغرافي والطبيعي والاداري والاقتصادي لولاية البصرة، نشاطات البعثات التبشيرية والقناصـل الاجانب بين أهلهـا وفي المناطق المجاورة . ويقدم المؤلف من خلال كل ذلك معلومـات احصائية قيمة للغاية بل ان بعضها نادرة جدا . وقد كرس قسم من الكتاب لدراسة تاريخ العراق في العصرين الوسيط والحديث

---

(٣٤) للتفصيل راجع : المصدر نفسه ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .

(٣٥) أ. اداموف ، العراق العربي . ولاية البصرة في أمسهـا ويومها ، بطرسبورغ ، ١٩١٢ . جلبت أهمية هذا الكتاب أنظار عدد من المؤرخين العراقيين ، وقد عهد « مركـز دراسات الخليج العربي » بترجمته الى الزميل الدكتـور هاشم صالح التكريتي وصاحب هذا البحث .

ولمواضيع أخرى تجعل من البحث مصدرا اصيلا لا غنى عنه لدراسة العراق قبيل الحرب العالمية لاولى .

وفر كل ذلك ، وغيره ، أرضية مناسبة لتطور مملوس في مجال الاستشراق الروسي الذي اصبح للعراق فيه موقع بارز . وجاءت ثورة اكتوبر الاشتراكية في تشرين الثاني من العام ١٩١٧ لتضفي على هذا الاستشراق ، شكلا ومضمونا ، طابعا جديدا يتوافق مع طبيعة العصر الجديد الذي دشنت الثورة المذكورة بدايته .

★ ★ ★

انتقل الى العهد الجديد ميراث غني تحول الى عنصر أساسي لتشييد استشراق سوفيتي متطور . وقد اولى المعنيون الاستشراق جانبا ملموسا من اهتماماتهم في وقت مبكر ، بحيث حظي حتى باهتمام شخص رئيس الدولة الجديد لينين . فبتشجيع منه تم فتح معهد للاستشراق في موسكو و «معهد اللغات الشرقية الحية» في لينينغراد . وجاء فتح الاول منهما بناء على اقتراح رفعه اليه مكسيم غوركي[٣٦] . ثم تتابع فتح مؤسسات مشابهة في عواصم الجمهوريات الشرقية نفسها (في طاشقند في العام ١٩١٨ وفي باكو في العام ١٩١٩ وفي غيرهما فيما بعد) . وجرت تغييرات مستمرة في الهيكل التنظيمي وفي مخططات العمل حسب الحاجات والتوجهات الجديدة[٣٧] وباسلوب جعل

---

(٣٦) راجع : ن.أ. كوزنيتسوفا و ل.م. كولاگينا ، من تأريخ الاستشراق السوفيتي ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٧٠ ص ٩ .

(٣٧) وردت تفاصيل ذلك في عدد من المؤلفات الخاصة =

للاستشراق السوفيتي موقعا بارزا في حقل العلوم الانسانية . وربما يكفي ان نورد هنا بعض الشواهد لاعطاء فكرة عامة عن الموضوع . فخلال عشر سنوات فقط (من ١٩١٧ حتى ١٩٢٧) تمت اضافة اكثر من عشرين الف مخطوط وكتاب جديد في حقول الاستشراق المختلفة الى محتويات المتحف الاسيوي التي سرعان ما تجاوزت المائتي الف مجلد . ونما بسرعة عدد الكادر المتفرغ للعمل في حقول الاستشراق المختلفة . فقد بلغ عدد الباحثين العلميين للمتحف الاسيوي في العام ١٩٢٧ تسعة عشر شخصا فقط وفي العام ١٩٣١ وصل عدد العاملين في معهد الاستشراق ٣٢ شخصا بينما قبل سنوات قلائل بلغ عدد العاملين من حملة الدكتوراه ودكتوراه العلوم في معهد شعوب آسيا[٣٨] وحده حوالي ٥٠٠ شخص . وخلال ثمان سنوات فقط (١٩٦٠ــ١٩٦٨) دافع في المعهد نفسه اكثر من ٥٠٠ شخص عن رسائلهم العلمية في شتى مجالات الاستشراق . وفي الفترة نفسها نشر هذا المعهد ١٣٠٠ كتاب وكراس ومجموعات مقالات بلغ المجموع الكلي لملازمها حوالي ١٨ ألف ملزمة[٣٩] . وفي الوقت الحاضر يعمل

= بالاستشراق السوفيتي من بينها المصدر المذكور في الهامش السابق والذي يحتوي على معلومات وافية بهذا الصدد ، وكذلك في كتاب ك . شرباتوف «الاستعراب في الاتحاد السوفيتي» .

(٣٨) يعرف الان بمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية .

(٣٩) تطبع عادة من الكتاب الواحد اكثر من الف نسخة ، وفي بعض الاحيان يتجاوز عدد النسخ المطبوعة من كتاب ما عدة آلاف نسخ .

عدد من المؤسسات المشابهة سواء في المركز او في عواصم الجمهوريات السوفيتية[٤٠] • ومثل هذا التطور الكبير هو الذي جعل من موسكو مكانا طبيعيا لعقد مؤتمر الاستشراق العالمي الخامس والعشرين (٩ ــ ١٦ آب ١٩٦٠) الذي اشترك فيه حوالي الفي عالم مثلوا ٥٠ بلدا وناقشوا خلال اسبوع اكثر من ٦٥٠ بحثا قدمت الى لجان المؤتمر المختلفة وطبعت في خمسة مجلدات ضخمة[٤١] •

تطور الاستعراب ، كفرع رئيس من فروع الاستشراق السوفيتي ، بالوتيرة نفسها • وقد تحولت الثروة الكبيرة من المخطوطات القديمة الى أحد المقومات الاساسية لتطور الدراسات العربية والاسلامية في معاهد الاستشراق السوفيتية • ففي معهد الاستشراق الاوزبكي وحده[٤٢] (في طاشقند) توجد أكثر من ١٦ الف مخطوط ١٠٪ منها دونت باللغة الاوزبكية وحوالي ٤٠٪ منها دونت باللغة الفارسية و ٤٨٪ منها دونت باللغة العربية • وتعود اقدم مخطوطة عربية في مجموعة طاشقند الى العام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) • وتحتوي مجموعة فرع معهد الاستشراق في لينينغراد كذلك على عدد كبير من المخطوطات العربية القيمة جمع قسم منها بشكل خاص في عهد بطرس الكبير•

---

(٤٠) للتفصيل راجع : ن.أ. كوزنيتسوفا و ل.م كولاگينا ، المصدر السابق ، ص ٧٢ــ٧٣ ، ٧٧ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٦٤ــ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ ، ٢٠٤ .

(٤٢) اشرف الاكاديمي بارتولد على وضع اسس أرشيف المخطوطات الشرقية القديمة في طاشقند .

وتوجد في دار المخطوطات (ماتيندران) في يريفان عاصمة أرمينيا السوفيتية مئات من الوثائق والمخطوطات العربيـة . كمـا ان بامكان المخطوطات الارمنية القيمة الموجودة في هذه الدار القاء أضواء جديدة على مواضيع تاريخية مهمة عن الشـرق القـديم والوسيط . فمن بين الخمسة عشـر الف مخطوطـة ووثيقـة محفوظة في هذه الدار توجد مصادر كثيرة تعود الى فترة ظهور الاسلام وانتشـاره في مناطق القفقاس واواسـط آسيا دونها مؤرخون أرمن موثوقون[٤٣] اعتمد على مؤلفاتهم العديد مـن المؤرخين الاوروبيين المعروفين الذين توصلوا بفضل مدوناتهم الى حل عقد تاريخية كثيرة .

من الطبيعي ان يظهر بفضل هذه الامكانات عدد غير قليل من المستعربين السوفيت الذين ابدعوا بسخاء في مجالات البحث التاريخي والادبي والاقتصادي والثقافي العربي . فان الاعمـال المختارة للبروفيسور منذ العام ١٩١٨ والاكاديمي منـذ العـام ١٩٢١ والعضو في مجمع اللغة العربية بدمشق وعضو اكاديمية العلوم البولونية وعضـو الشرف في المجمـع العلمي الايراني والجمعيـة الاسيوية الملكيـة البريطانيـة كراچكوفسـكي (١٨٨٣ ــ ١٩٥١) ، تقع في ستة مجلدات ضخمة[٤٤]، تحتوي، مع مؤلفاته الاخرى ، على مواضيع أدبية ولغوية وتاريخية في غاية الاهمية من قبيل « الادب الجغرافي العربي » و « أقدم وثيقـة

---

(٤٣) للتفصيل راجع :
G. W. Abgar , The Matenadaran , Erevan , 1962

(٤٤) كان كراچكوفسكي على اتصال وثيق بالعديد من المؤسسات والشخصيات العلمية في العالم العربي. ومن بين العراقيين=

عربية في آسيا الوسطى » و « الكتابة العربيـــة في شـــمال القفقاس » و « الثقافة العربية في اسپانيا » و « الصلات الادبية الروسية ــ العربية » وكتاباته عن قاسـم أمين وأمين الريحـاني ورزق الله حسون ومي زيادة وسليمان البستاني وطه حسـين واليازجي والزهاوي ومحمود تيمور وغيرهم . وفي الواقـع لا يوجد بين الاوروبيين من أولى دراسة الادب العربي مثل ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه اياه الاكاديمي كراچكوفسكي .

لم يبخل تلاميذ كراچكوفسكي في العطاء . وبحـكم التغيير الجذري الذي طـرأ على مضمون الاستشراق السوفيتي بعد ثورة اكتوبر ظهرت مواضيع جديدة ومعالجـات فكريـة للاحداث التأريخية والابداعات الادبية والحيـاة الثقافيـة والتطورات الاقتصادية في البلدان العربية ، ويجري تأكيد كبير على دراسة حركات التحرر ــ الوطني العربية التي غالبا ما يعتبرها المؤرخون البورجوازيون ، ولا سيما التقليديون منهـم ، مظهرا سياسيا مجردا(٤٥) وكأن السياسة نفسها لا تدخـل في اطـار التأريخ عنصرا محركا بارزا ومظهرا خارجيا لاحـداث وعلاقات عميقة الغور في قاعدة المجتمع . وهنا بامـكان عناوين بعض

= كان على اتصال بالاب انستاس الكرملي ، وقد تطـرق العالمان الى اعمال بعضهما العلمية في دراساتهما (للتفصيل راجع : كوركيس عواد ، الاب انستاس الكرملي . حياتـه ومؤلفاته ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص ٣٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٥٠ ، أ. كراچكوفسكي ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص ٥ ، ٨١ ، ٢٣٥) .

(٤٥) يصف أمثال هؤلاء المؤرخين حركات التحرر بمثل هـذه السطحية : «انها سياسة وليست تأريخا » !! .

المؤلفات السوفيتية المبكرة اعطاء فكرة عامة عن التحول المذكور. فقد نشر م.ف. فرونزه في العام ١٩٢٥ كتابا تحت عنوان «رسل الحضارة الاوروبية في مراكش» . وفي العام نفسه نشر ف.أ. روتشتين «احتلال مصر واستعبادها» . ومنذ فترة ليست بقصيرة يدرس المؤخون والاقتصاديون السوفيت مواضيع حيوية مثل ظهور العلاقات الاقطاعية وانحلالها وميلاد العلاقات الرأسمالية وتطورها ومسائل التحول الاجتماعي والاثنوغرافي وتكون الطبقة العاملة والمسألة الزراعية والحركات الفلاحية وظهور الافكار الجديدة والتطور اللاراسمالي في المجتمعات العربية .

يحتل العراق موقعا جديرا في الاستشراق السوفيتي ، فقد تخصص العديد من المستشرقين السوفيت في دراسة تأريخه القديم والوسيط والحديث بشكل خاص ، كما تحولت الابداعات الادبية لابرز شعراء العراق (الزهاوي والرصافي وغيرهما) وكتابه الى مواضيع لرسائل جامعية وبحوث علمية . ويولي المستشرقون السوفيت دراسة التطور الاقتصادي في العراق ومشاكله جانبا كبيرا من اهتماماتهم . فان موضوع العلاقات الزراعية في الريف العراقي والاصلاح الزراعي ونتائجه ، مثلا ، تحول الى عناوين بارزة لحوالي عشر رسائل ودراسة علمية مستقلة(٤٦) .

---

(٤٦) طبعت احدى هذه الرسائل على شكل كتاب مستقل بعنوان «القضية الزراعية في العراق المعاصر» ، موسكو ، ١٩٦٦، (١٧٥ صفحة) وهو من تأليف الدكتور س.ن. اليتوفسكي.

من كل ما سبق يبدو جليا انه ليس مجرد صدفة ان أولى المستشرقون السوفيت ، ولا يزالون يولون احـــداث « ثورة العشرين » اهتماما جعلها واحدا من المواضيع التاريخية الرئيسة التي عالجها عدد كبير من المؤرخين وورد ذكرها في العشرات من الكتب والموسوعات والمقالات والرسائل المختلفة .

« ثورة العشرين » في الاستشراق السوفيتي

ثورة أم انتفاضة

قبل الخوض في صلب الموضوع يجدر بنا ان نجلب انتباه القارىء الى حقيقة تستحق اهتماما جديا من لدن المختصين ، وهي ما يتعلق بالارتباك الواضح في استخدام المصطلحات التأريخيـــه باسلوب غير علمي في معظم دراساتنا . فان من يتصفح المؤلفات العراقية مثلا يستطيع ان يعد عشرات «الثورات» التي شـــهدتها البلاد خلال أقل من سبعة عقود من تأريخه الحديث . فـــكل انتفاضة جماهيرية وكل خروج على الفساد وكل تمرد عشـــيري وكل حركة عسكرية[٤٧] هي « ثورة » حسب تعبير الاغلبيـــة

(٤٧) نشرت « آفاق عربية » في عددها التاســع (أيار ١٩٧٦) ملفا عن «الحرب العراقية ــ البريطانية١٩٤١» استصدرته ملاحظة دقيقة حول ضرورة استخدام المصطلحات العلمية بشكل صحيح ودعت الى تسمية الاحداث التي وقعت في العراق خلال شهر مايس مـــن العـــام ١٩٤١ بـ « الحرب العراقية ــ البريطانية » بدل « ثورة » او « حركة » رشيد عللي الكيلاني كما يفعل العديد من الكتاب والمؤرخين ومنهم من اشترك في تحرير الملف نفسه (راجع ص ٩٤ ــ ٩٥ و ١٣٢ من العدد السابق الذكر) .

الساحقة من مؤرخينا ، بينما لكل من هذه الاحداث مفهومه الخاص يتبع اسمه طابع الحدث وأهدافه والقوى العاملة فيه . فالثورة لا بد لها من ان تستهدف أو تؤدي الى حدوث تغيير جذري في القاعدة وفي القمة ، كأن تؤدي الى تغيير العلاقات الاقطاعية باخرى رأسمالية وتفضي الى انتقال السلطة من الاقطاعيين الى البورجوازيين مما يشكل طفرة نوعية كبيرة الى أمام ، والثورة الفرنسية الكبرى نموذج مثالي لهذا النوع من التحول . وأحيانا تشكل حركة ما بالرغم من أهميتها وسعة نطاقها وعمق نتائجها وجسامة ضحاياها ونبل أهدافها مجرد انتفاضة جماهيرية أو حركة تحررية موجهة ضد مستعبد أجنبي، وهي لا تقل أهمية عن الثورة ، بل تشكل في أغلب الاحيان مقدمة ضرورية لثورة لاحقة ، الا اننا لا نستطيع وصفها بالثورة اذا توخينا الدقة العلمية . وان ما حدث في العام ١٩٢٠ هو نموذج لهذا النوع من التحرك الثوري الذي يسميه الغربيون بالتمرد بينما اختارت له الجماهير العراقية اسم « ثورة العشرين » التي أصبحت مصطلحا متداولا على الالسن وفي جميع المؤلفات العراقية تقريبا . اما المستشرقون السوفيت فانهم يسمون الاحداث التي وقعت في الصيف من العام ١٩٢٠ بانتفاضة وطنية عامة .

أول دراسة موضوعية عن «ثورة العشرين»

لم يتسن للعراقيين بسبب ظروف البلاد السياسية البحث عن تفاصيل « ثورة العشرين » ، وهم أولى به من غيرهم ،

لفترة غير قصيرة من الزمن • وللغربيين ، والانكليز منهم بشكل خاص ، وجهة نظرهم ازاء ما وقع في العام ١٩٢٠ من أحـــداث عبرت قبل كل شيء وأكثر من اي شيء عن اصرار مشـــروع وتمسك أصيل لشعب كامل بحقه في الاستقـــلال والحريـــة والسيادة ، بينما هم يرون في ذلك التحرك الثـــوري الطبيعي « تمردا »(٤٨) أو رد فعل رجعيا شـــرقيا على الحضـــارة الاوروبية(٤٩) أو نتيجة عوامل جانبية كاختلاف الدين والتقاليد وجهل الموظفين البريطانيين للغة العربية(٥٠) أو وليد تفسير خاطىء

---

(٤٨) هكذا سمى قائد القوات البريطانية العاملـة في العراق هالدين الذي اشرف على العمليات العسكرية ضـد الثوار كتابه الذي طبعه بعد مرور حوالي العامين على انتهـــاء «ثورة العشرين» :

A.L.Haldane, The Insurrection in Mesopotamia, Edinburgh, 1922.

(٤٩) هذا ما يحاول ان يوحي به فوستر خلال عرضه المقتضب لمقدمات واحداث الثورة

(H. A. Foster , The Making of Modern Iraq, Norman , Oklahoma , 1935, PP. 79-86).

(٥٠) راجع مثلا :

S. H. Longrigg , Iraq 1900 to 1950 , London , third impression , 1968 , PP. 133 - 116

يوصم لونكريك كل من وقف ضد البريطانيين بشتى النعوت ويضفي على كل من وقف الى جانبهم خير الصفات وأحسنها (راجع على سبيل المثال ص ١٠٣ـ١٠٤ و١٤٤ وغيرها من الكتاب نفسه) .

لمفهوم الانتداب[٥١] . ومن الطبيعي ان تتحول « ثورة العشرين » حسب مثل هذه المفاهيم الى معوق أمام المهام الحضارية للسلطات البريطانية في العراق[٥٢] .

تقابل هذه الصورة المشوهة صورة من نوع آخر تعتبر ـ حسبما نعلم ـ اول تقييم موضوعي لاحداث «ثورة العشرين» . ففي العام ١٩٢٢ نشر المؤرخ البارز وأحد رواد الاستشراق السوفيتي ف.أ.گوركو ـ كرياجين[٥٣] بحثا مفصلا تحت عنوان «حركة التحرر ـ الوطني في المشرق العربي ، بلاد ما بين

---

(٥١) راجع مثلا :
" The letters of Gertrude Bell" , London , 1930, P. 434

(٥٢) هكذا قيم المؤرخ الامريكي فليب آيرلند جميع الحركات والانتفاضات التحررية للشعب العراقي ، بما فيها « ثورة العشرين » (راجع :
P. W. Ireland , Iraq . A study in political development , London , 1937 , PP. 195 , 275 etc..

(٥٣) هو ڤلاديمير اليكسندروڤيچ گوركو ـ كرياجين (١٨٨٧ ـ ١٩٣١) . عضو في هيئة ادارة « جمعية الاستشراق العلمية » التي تأسست في العام ١٩٢١ ، عضو في هيئة تحرير مجلة الجمعية « الشرق الجديد » . منح لقب البروفيسور في العام ١٩٢٨ . له مؤلفات عديدة عن العلاقات الدولية وعن تاريخ واثنوغرافيا شعوب اقطار الشرقين الادنى والاوسط والقفقاس منها كتابه « المشرق العربي والامبريالية » الذي طبع في العام ١٩٢٦ . كما نشر سلسلة مقالات عن حركات التحرر ـ الوطني العربية في أعداد مختلفة من مجلة « الشرق الجديد» .

النهرين»[٥٤] كرس جانبا كبيرا منه لدرس مقدمات «ثورة العشرين» واحداثها مع نتائجها . في بداية البحث يعطي كرياجين وصفا عاما عن جغرافية العراق وسكانه مع ثرواته ووضعه الاقتصادي ، ومن خلال ذلك يبين لماذا توجهت انظار الدول الغربية منذ القرن الماضي الى هذه البلاد التي أكد «شاعر الاستعمار الانكليزي ويلكوكس[٥٥]» امكانية رفع الارض الزراعية فيها الى خمسة ملايين هكتار ، والتي أعطت ولاية واحدة من ولاياتها الثلاث[٥٦] في العام ١٩٠٥ حوالي ١٣٤ ألف طن من القمح و ٧٣ ألف طن من الشعير[٥٧] علما بان الاحصاءات التركية تشير الى ان ٢٫٥٥٪ فقط من الارض الصالحة للزراعة تستغل في هذه الولاية ، بينما في ولاية بغداد تستغل ٠٫٢٨٪ وفي ولاية البصرة ٠٫٣١٪ فقط . من هنا فان «فلاحي ميسوپوتاميا يعيشون ظروفا بائسة كتلك التي يعيشها فلاحو مصر وسوريا أو الرعية في

---

(٥٤) ف.أ. كرياجين ، حركة التحرر ـ الوطني في المشرق العربي ـ بلاد ما بين النهرين ، ـ « الشرق الجديد » ، موسكو ، الكتاب الثاني ، ١٩٢٢ ، ص ٢١٢ ـ ٢٤٨ . « الشرق الجديد » من أولى مجلات الاستشراق السوفيتي. كانت تصدر على شكل كتب ضخمة يتجاوز عدد صفحات الواحد منها السبعمائة صفحة . صدر العدد الاول من « الشرق الجديد » في العام ١٩٢٢ واخر عدد في العام ١٩٣٠ وبلغ ما صدر منها ٢٩ كتابا .

(٥٥) يقصد وليام ويلكوكس المعروف .

(٥٦) يقصد ولاية الموصل .

(٥٧) ف.أ. كرياجين ، المصدر السابق ، ص٢١٨ـ٢١٩ . يعطي المؤلف أرقاما أخرى مفصلة عن انتاج الفواكه والثروة الحيوانية في المنطقة نفسها (ص٢٢٠ـ٢٢١) .

الاناضول»[٥٨] . أما الطبقة العاملة فانها لم تتبلور بعد ، وان معظم عمال البلاد هم من العمال الحرفيين الذين يتراوح عددهم بين ١٠٠ و ١٥٠ ألف شخص . وان أعلى الاجور بالنسبة لهؤلاء تتراوح بين ٣ ــ ٤ر٥ قروش في اليوم للرجل ولا تتجاوز ثلاثة قروش بالنسبة للمرأة العاملة[٥٩] . اما البورجوازية فانها ضعيفة بشكل عام ، لكنها أكثر تطورا في جنوبي البلاد[٦٠] . وان «هذه البورجوازية الوليدة مع فئة الانتليكينتسيا الصغيرة المنحدرة منها ، تلعب دورا كبيرا في تطوير الشعور الوطني المحلي ...»[٦١] الذي اصبح الانعتاق من النير العثماني واعلان الاستقلال شعاره الرئيس .

هكذا لم يكن من السهل على العراقيين تحمل عبء ثقيل جديد جاءهم مع الاحتلال البريطاني لبلادهم . ومهما تفنن المستعمرون في تغطية أهدافهم الحقيقية لتمسكهم الشديد ببلاد ما بين النهرين بحجة وقوعها على طريق الهند[٦٢] ، فانهم لا يستطيعون اخفاء الواقع ، انهم يريدون ثروات الشعب العراقي ،

---

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

(٦٠) يقصد بذلك البصرة التي غدت بحكم موقعها حلقة وصل للاتصال بالسوق الرأسمالية العالمية ، فظهرت فيها شركات تجارية مختلفة زاول العديد منها تصدير المنتوجات الزراعية بما في ذلك التمور المحلية .

(٦١) ف.ا. كرياجين ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٦٢) يستشهد في ذلك بأقوال رئيس الوزراء لويد جورج ولسان حاله جريدة « ديلي كرونيكل » في عددها الصادر يوم ٢٤ تموز ١٩١٩ .

نفطه ، اكثر من أي شيء آخر لذا ترى المهندسين والضباط الانكليز يعملون بحماس كبير استدعى بعض الحذر حتى من جريدة الـ «تايمس» التي بدأت تخشى ان لا تجني الاوساط المالية ثمار جهودها الا بعد مضي فترة غير قصيرة(٦٣) . وكان من الطبيعي ان يجهد المحتلون الجدد من اجل ضمان اكبر ما يمكن من الموارد المحلية للصرف على مشاريعهم ولاقامة نظام اداري قوي اصبح وجوده شرطا ضروريا لانجاز خطط الانكليز البعيدة المدى ، خاصة وانه لم يعد بامكان دافع الضريبة البريطاني تحمل اكثر مما تحمل في سنوات الحرب فاصبح لزاما على المسؤولين سحب جانب كبير من قطعاتهم العاملة في الشرق . وفي العراق ظهرت اجهزة جديدة ادارية وبوليسية لم تراع في الغالب ظروف البلاد وتقاليد الناس الاجتماعية وقيمهم الروحية . وهي الى جانب ذلك كانت اكثر مركزية من الجهاز العثماني ، خاصة فيما يتعلق بجمع الضرائب . وتحولت منطقة الفرات الاوسط الى شيء اشبه ما يكون بحقل تجريبي لاعمال الاجهزة الجديدة . وعلى الصعيد الدولي نجحت الدبلوماسية الانكليزية في ضمان بقاء بلاد ما بين النهرين في حوزة بريطانيا التي نالت «حق» الانتداب عليها .

جاء كل ذلك على طرفي نقيض مع طموحات الشعب العراقي الذي بدأ يعاني من ضغط سياسي واقتصادي واجتماعي احتاجت ازاحته الى تحرك ثوري فعال . وهكذا لم تمض على انتهاء

---

(٦٣) يستند المؤلف الى أقوال الجريدة في عددها الصادر يوم ١٣ أيلول ١٩١٩ .

الحرب العالمية الاولى سوى فترة قصيرة حتى بدأت بوادر الانتفاضات المعادية للاحتلال البريطاني تظهر هنا وهناك ، بين الاكراد في الشمال والعرب في الوسط والجنوب • وهي لم تكن معزولة ــ كما يبين المؤلف ــ عن احداث المنطقة ، بل انها تفاعلت مع آثارها ، ولا سيما مع الاحداث السياسية المتلاحقة التي بدأت تشهدها ساحتا سوريا والاناضول(٦٤) • ومن أروع ما شهدته المنطقة في هذه المرحلة التاريخية التعاون الفعال بين الشيعة والسنة على درب مقارعة العدو المشترك ، فقد «أعلن مجتهدو كربلاء والنجف الجهاد المقدس ضد الانكليز ، فقام علماء السنة بدعاية متحمسة له » واعتبر الطرفان كل متعاون مع الانكليز مارقا وهكذا «تركزت الحملة كلها بين رجال الدين الذين يعتبر حجة الاسلام ••• الشيرازي واحدا منهم»(٦٥) •

---

(٦٤) يقول المؤلف ان « خمسين شيخا من بغداد والبصرة » اشتركوا في مؤتمر أرضروم الذي عقده الوطنيون الاتراك أيام نضالهم بقيادة مصطفى كمال . ان هذا الامر يحتاج الى تقص خاص من لدن المختصين خاصة ، فالعدد ، لكثرته ، يبدو بعيدا عن الواقع . ويؤكد المؤلف وجود اتصالات اخرى بين الوطنيين العراقيين ومصطفى كمال ويتحدث عن وفد عراقي وصل دياربكر لاجراء المحادثات بين الطرفين من أجل النضال المشترك . وهنا من الضروري ان نشير الى ان للمؤلف اطلاعا واسعا على تأريخ تركيا الحديث بحيث عهد اليه بكتابة بحث بعنوان « صراع الدول وظهور حركة التحرر ــ الوطني في تركيا » ليكون بمثابة مدخل للترجمة الروسية للاجزاء الاربعة من كتاب مصطفى كمال أتاتورك « طريق تركيا الحديثة » (الجزء الاول ، موسكو ، ١٩٢٩ ، ص XIX — LXIV) .

(٦٥) ف.ا. كرياجين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

تمخضت كل ذلك عن « انتفاضة واسعة في العام ١٩٢٠ » ادت الى تحرير مناطق كثيرة والى توجيه ضربات مؤلمة الى المؤسسات البريطانية والى السكك والاسلاك وغيرها . فاضطر الانكليز لجلب تعزيزات كبيرة من الهند . وبدأ لويد جورج وچرچل يحاولان تبرير ما وقع في بلاد ما بين النهرين ويعلنان للرأي العام ان الامر هناك ليس سوى « ظاهرة عابرة » نجمت عن تحرك « عشائر بدوية متفرقة » لا غير في الامكان « ردعها بسهولة»(٦٦) . لكن ضربة الشعب العراقي لم تكن بمثل هذه البساطة ، انها كلفت خزينة الدولة البريطانية مبالغ طائلة بحيث حاولت المعارضة استغلالها في نضالها ضد حكومة لويد جورج ، وحتى ان بعض الصحف(٦٧) بدأت تصف الاحتلال البريطاني للعراق بـ «مغامرة لويد جورج وچرچل» التي تستهدف ـ باعتراف جريدة الـ «تايمس» ـ «خدمة التريستات فحسب» . وكان رئيس الوزراء البريطاني السابق أسكويث أكثر المعارضين تحمسا لاستغلال «الفشل البريطاني في ميسوپوتاميا» ضد حكومة لويد جورج(٦٨) ، حتى انه طالب بترك ولايتي الموصل

---

(٦٦) يستند المؤلف في ذلك الى ما نشرته جريدة « ديلي كرونيكل » في عددها الصادر يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ . يستشهد المؤلف في سرد بعض الاحداث التي رافقت «ثورة العشرين » ببعض المصادر النادرة مثل جريدة « چيمن » التي كانت تصدر في مشهد .

(٦٧) منها الـ « تايمس » و الـ « اوبزرڤر » والـ « ديلي تلغراف » وغيرها .

(٦٨) أصبح لويد جورج رئيسا للوزارة البريطانية في العام ١٩١٦ خلفا لاسكويث .

وبغداد لشأنهما والاحتفاظ بولاية البصرة فقط ، وهو ما نادى به آخرون من المعارضين ضمن حملتهم الدعائية ضد الحكومة . الا انه «بالرغم من كل هذه المعارضة في الصحافة وفي البرلمان فانه ليس من السهل على المستعمرين الانكليز التنازل عن نفط ما بين النهرين ...» لذا «فانهم يجهدون انفسهم في البحث عن اسباب الانتفاضة والمسؤولين عن وقوعها ، لكنهم لا يجدون تلك واولئك بالطبع حيثما يجب ان يجدوها ويجدوهم» . فهم يرون «اسباب الانتفاضة في تأخير توقيع معاهدة السلم مع تركيا» وفي رد الفعل العفوي «بين السكان المتخلفين ضد الانظمة البريطانية ...» وهكذا فان «سببا واحدا «لا» يراود الانكليز وهو انهم ظهروا في ميسوپوتاميا كمحتلين قساة يحاولون استغلال البلاد باستهتار مبعدين باساليبهم الكولونيالية الصرفة كل فئات الشعب عن انفسهم ...»[٦٩] . في ذلك يكمن سبب انتفاضة شعب اراد الاستقلال فأصر على النضال بحيث اضطر البريطانيون لاستخدام « ستة اسراب من الطائرات» ضده فتمكنوا بواسطتها وبمساعدة القوات البرية الهائلة من «قمع الانتفاضة وقتيا» فقد «جعلت تجربة العام ١٩٢٠ كلا من چرچل ولويد جورج يفهمان جيدا ان ما تحقق من نجاح عسكري امر غير ثابت الى حد كبير وان تهدئة البلاد بحاجة الى استخدام اساليب اخرى جديدة»[٧٠] . وهكذا توجه السير پيرسي كوكس على جناح السرعة الى بغداد ، وبدأت تراجعات شكلية في اسلوب الادارة ،

---

(٦٩) ف.أ. كرياجين ، المصدر السابق ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص٢٤٣ .

ونشط لورانس من جديد في توزيع الاموال ، فباعتراف جريدة الـ «تايمس»[٧١] وزع الابن المدلل للويد جورج خلال سنتين فقط مليوني جنيه استرليني تلقى منها احد امراء نجد المتنفذين ٦٠ ألف جنيه[٧٢] مقابل عدم تدخله في أمر اختيار الامير فيصل ملكا على العراق[٧٣] .

من جانب آخر كان من الضروري «تهدئة» المعارضة في الداخل أيضا ، فتم اصدار «كتاب ابيض» عن ميسوپوتاميا حاول مؤلفوه اثبات ان حكومة لويد جورج لا تنوي تحويل العراق الى امتداد للهند في الشرق الأوسط ولا تعتمد في ادارته الا على السكان الاصليين في الغالب (! !) . وللاثبات قدم «الكتاب الابيض» هذه الارقام : يعمل في العراق ١١٫٨٢٩ موظفا مدنيا ٨٫٥٦٦ منهم عراقيون و ٢٫٢١٦ منهم هنود ولم يتجاوز عدد الموظفين الانكليز «من ذلك الرقم الكبير» الالف فقط[٧٤] . ولكن «نسى» هذا «الكتاب الابيض» ان يشير الى ان العراقيين يشغلون بالاساس الوظائف الادارية الكتابية والتنفيذية الصغيره فقط ، وان الالف انكليزيا هم حكام البلاد الفعليون ، و «نسى» ايضا ان ١٧٪ فقط من مجموع ٢٥٠٠ شخص من العاملين في مشاريع السكك في ١٩١٨ ــ ١٩١٩ كانوا من السكان الاصليين

---

(٧١) يستند الى اعداد الـ « تايمس » الصادرة في الايام ٢٧و٢٨و٢٩ كانون الاول من العام ١٩٢١ .

(٧٢) كان من المقرر ، كما يؤكد المؤلف ، جعل هذا المبلغ منحة سنوية مقطوعة .

(٧٣) ف.أ. كرياجين ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

بينما كان ٨٠٪ منهم من الهنود والبقية كانوا من الاوروبيين[٧٥].

اذاً حاول الانكليز الالتفاف على نتائج « ثورة العشرين» والاستفادة من دروسها لتحقيق أهداف ثابتة بأساليب جديدة ولكن ظل شبح الثورة ، مع ذلك ، جاثما امام انظار المسؤولين الانكليز يقض مضاجعهم . وهذا ما يفسره بشكل واضح البيان التفصيلي الذي قدمه وزير الحربية البريطاني الى مجلس العموم في حزيران من العام ١٩٢١ عن توزيع القوات البريطانية في الشرق الاوسط على الوجه التالي : في القسطنطينية ٢٠٠ر٥ انكليزي و ٥٠٠ر٥ هندي وفي مصر ٨٠٠ر١٣ انكليزي مع ٢٠٠ر٣ هندي وفي فلسطين ٤٠٠ر٤ انكليزي مع ٨٠٠ر١٠ هندي، اما في العراق فكان يوجد ٠٠٠ر١٠ انكليزي و ٠٠٠ر٥٠ هندي (فقط !) ، أي حوالي ٦٠٪ من مجموع القوات العاملة في كل المنطقة[٧٦] .

هكذا تمكن المؤرخ السوفيتي گوركو ــ كرياجين من تقديم اول صورة موضوعية مقنعة عن «ثورة العشرين» وعن التوقعات التي أثارتها على المدى البعيد قبل ان يمضي عليها أكثر من عامين فقط . وهذا الاخير يعطي بحثه أهمية أكبر بغض النظر عن العديد من النواقص الواردة فيه والتي نعود الى عرض قسم منها فيما بعد .

---

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ (الهامش) . ان هذا الواقع هو الذي جعل من موضوع اشغال العراقيين في المؤسسات الحكومية واحدا من الشعارات الرئيسة للحركة العمالية العراقية في العشرينيات .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص٢٤٧ .

عاد الى بحث الموضوع نفسه مستشرقان سوفيتيان آخران هما المؤرخ الحربي ن.كارسون في كتابه «المشرق العربي . العراق»[٧٧] و ي.ليڤين في كتابه «العراق»[٧٨] . ولم يختلف هذان المستشرقان في تقييماتهما لـ «ثورة العشرين» عن سلفهما گوركو ــ كرياجين وان كانا قد عالجاها باختصار اكثر وذلك بحكم ورودها ضمن عرض تاريخي ــ اقتصادي ــ اجتماعي شامل شكلت احداث العام ١٩٢٠ احدى حلقاته . فقد كرس ليڤين مثلا حوالي ثلاث صفحات فقط للتحدث عن احداث «الثورة» نفسها[٧٩] التي يرى فيها رد فعل منطقيا على محاولات

---

(٧٧) ن. گ. كارسون ، المشرق العربي . العراق ، موسكو ، ١٩٢٨ . نيكولاي گريگوريڤيچ كارسون (١٨٧٦ــ١٩٥٨) مؤرخ حربي سوفيتي معروف . زاول التدريس في الاكاديمية العسكرية . له عدد من المؤلفات عن المواقع الحربية التي شهدتها مناطق القفقاس وايران وتركيا في سنوات الحرب العالمية الاولى ، كما ان له كتابا عن « الحرب الايطالية الحبشية » (موسكو ، ١٩٣٨) وآخر عن « الحرب اليونانية ــ التركية » (موسكو ، ١٩٤٠) .

(٧٨) ي. ليڤين ، العراق . ميسوبوتاميا المعاصرة ، موسكو ، ١٩٣٧ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٠ ــ ٥١ . يبلغ مجموع صفحات الكتاب ١٣١ صفحة . يبحث الفصل الاول منه في الوضع الجغرافي للبلاد والفصل الثاني عن « ماضي العراق » وكرس الفصل الثالث من الكتاب للبحث عن تاريخ العراق في أواخر العهد العثماني وفترة ما بعد الحرب العالمية الاولى (ص ٤٣ ــ ٦٤) وفيه يتحدث المؤلف عن «ثورة العشرين » . اما الفصول الستة الاخرى من الكتاب فقد كرست لمعالجة قضايا اقتصادية واجتماعية وثقافية =

المستعمرين لمنع العراقيين من حقهم الطبيعي للتمتع بالاستقلال ومحاولتهم فرض الانتداب على بلادهم بالرغم من ارادتهم • ويعتبر ليڤين كذلك « تعاون الشيعة والسنة في جبهة واحدة ضد العدو المشترك» من المظاهر السياسية المهمة لـ «ثورة العشرين»(٨٠) التي استنبط الانكليز من احداثها درسا مهما هو أنه من الافضل بالنسبة لمصالحهم مساومة الفئات الاجتماعية العليا والحكم عن طريقها بدل الوجود العسكري المباشر «في بلاد معادية لدودة»(٨١) •

رسالة علمية عن «ثورة العشرين»

في بداية الخمسينيات اختار ل•ن•كاتلوف(٨٢) «ثورة

= وادارية .

ارتأينا ان نقدم مثل هذه التفاصيل عن المستشرقين السوفيت ومؤلفاتهم ، وهي بامكانها استكمال الصورة التي قدمتها مجلة « المورد » في عددها الاخير حول هذا الموضوع (راجع : ي.م. سميلانسكايا ، التأريخ الاقتصادي للدول العربية ، ترجمة الدكتور فاروق صالح العمر ، — « المورد » ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، ١٩٧٧ ، ص ٢٣٢—٢٤٠) .

(٨٠) ي . ليڤين ، المصدر السابق ، ص٥١ .

(٨١) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

(٨٢) الدكتور ليف نيكولاييڤيچ كاتلوف واحد من المستعربين السوفيت المعروفين . يتميز بعمقه العلمي في تحليل الاحداث والربط بينها . له عدد كبير من المؤلفات يأتي في مقدمتها كتابه القيم « نشوء حركة التحرر — الوطني في المشرق العربي (اواسط القرن التاسع عشر — ١٩٠٨) » =

العشرين» موضوعا لرسالة علمية لنيل شهادة الدكتوراه ، مما يدل بحد ذاته على الاهتمام الذي أولاه الاستشراق السوفيتي لمجمل حركة التحرر ـ الوطني للشعب العراقي والتي تشكل «ثورة العشرين» احدى ذرواتها المبكرة . قدم ل.ن. كاتلوف رسالة غنية في محتواها ، عميقة في تحليلاتها واستنتاجاتها العلمية، فاستحق عنها ، بجدارة ، اللقب العلمي الرفيع . وقد تجلى ذلك مرة اخرى في القرار الذي اتخذه المجلس العلمي لمعهد شعوب آسيا التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية حول طبع الرسالة في كتاب مستقل جاء نشره(٨٣) قبل انتصار ثورة ١٤ تموز باشهر قلائل ليضفي على استنتاجات المؤلف طابعا خاصا الى حد ما.

يحمل الكتاب عنوان «الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق»(٨٤) ويتألف من مقدمة واربعة فصول وخاتمة.

= (٣٢٤ صفحة) . للتفصيل راجع التقريض الذي نشرناه عن هذا الكتاب في « آفاق عربية » ، العدد ٢ ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٤ ـ ١٥٢ .

(٨٣) نشر المؤلف قبل ذلك جزءا كبيرا من رسالته على شكل مقال مستقل بعنوان « النضال التحرري ـ الوطني العراقي قبيل انتفاضة ١٩٢٠ » (يقع في ٣٣ صفحة) وهو عرض مركز للفصول الثلاثة الاولى من الكتاب الذي نحن بصدده ، ولا سيما الفصل الثالث منه .

(٨٤) نشر الدكتور عبدالواحد كرم في العام ١٩٧١ الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان « ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق » واعادت « دار الفارابي » في بيروت نشر « طبعة ثانية منقحة » للكتاب في العام ١٩٧٥ وقد راجعها الاستاذ عبدالرزاق الحسني مصححا العديد من الهفوات التي وردت في الطبعة الاولى من الكتاب، ولاسيما=

يبحث المؤلف في الفصل الاول عن « الكيان الاجتماعي ـ الاقتصادي للعراق في بداية القرن العشرين» • وفي الفصل الثاني عن «العراق خلال الحرب العالمية الاولى وسياسة المحتلين الانكليز» • وفي الفصل الثالث عن «حركة التحرر ـ الوطني في العراق قبيل انتفاضة العام ١٩٢٠» • وفي الفصل الرابع والاخير عن «انتفاضة العام ١٩٢٠»[٨٥]• استخدم المؤلف ، فيما عدا المصادر الفلسفية ، ١٢٧ مرجعا باللغات العربية والانكليزية والروسية والفرنسية والالمانية يدخل ما لا يقل عن نصفها ضمن المصادر الاصيلة من وثائق ومنشورات رسمية ومذكرات ويوميات وغيرها يستخدم قسم كبير منها لدراسة موضوع «ثورة العشرين » لاول مرة • كما استفاد المؤلف ، وعلى نطاق واسع ، من الصحف الصادرة في فترة بحثه ، وبشكل خاص الصحف الانكليزية التي استقى منها دلائل ومؤشرات مهمة ادان بها بشكل منطقي مواقف واجراءات مختلفة للمحتلين الانكليز •

تكمن اهمية دراسة الدكتور كاتلوف قبل كل شيء ، على ما نعتقد ، في انها تعطي أجوبة مقنعة على اسئلة مهمة تفرض نفسها على الدارس والمتتبع بالحاح • فلماذا جاء رد الفعل الثوري في العراق على الاحتلال الانكليزي بمثل هذه السرعة

= ما كان يتعلق منها بأسماء المواقع والاعلام . ولكن ، مع ذلك ، فان الكتاب بحاجة الى اعادة نظر جذرية لما ورد فيه من تشويه غير مقصود لمقاطع وفقرات مختلفة مما أثر بشكل ملموس على قيمته العلمية .

(٨٥) توخينا تعريب عناوين فصول الكتاب دون تصرف .

وبزخم فاق ما حدث في العديد من اصقاع الشرق الاوسط وغيرها في تلك المرحلة التاريخية ، مع العلم بأن الانكليز جاءوا الى العراق في فترة بلغ فيها استياء الشعب من الحكم العثماني المتخلف اوجه ، بحيث بدأت قطاعات واسعة منه تتمنى تبديله باشراف اوروبي متقدم • ثم ما هي العوامل الكامنة التي دفعت فئات كبيرة من الاوساط الاجتماعية العليا والجماهير الكادحة المتخلفة وعيا للوقوف في خندق واحد بوجه الانكليز بمثل ذلك الحماس المتقد • ولماذا لعبت مناطق الفرات الاوسط دورا أكبر من غيرها في الاحداث الثورية ، ولم وقفت غيرها بعيدة عنها بشكل أثر على مسيرتها • واخيرا لماذا تمكن الاعداء من القضاء على «الثورة » مع ان الجماهير العراقية لم تبخل في تقديم الضحايا الجسيمة ؟ •

في الامكان ايجاد تفسير مقنع لكل ذلك خلال اللوحة الحية التي يقدمها المؤلف في الفصلين الأول والثاني من كتابه • والمهم انه يستند في رسمه لتلك اللوحة وفي تقييماته الى شهود « من أهلها» ، وبشكل خاص الى الانكليز الذين وقفوا وراء جميع الاحداث الدامية التي شهدتها ربوع الرافدين يومذاك •

لم يحتج الفلاح العراقي الى ذكاء ليحس ، بل وليتلمس مباشرة ، كيف ان الوضع الجديد الذي نجم عن خروج العثمانيين ومجيء الانكليز لم يؤد الى تحسن ولو جزئي في حياته البائسة ، بل على العكس من ذلك تماما اصبح لزاما عليه أن يتحمل أعباء جديدة أثقلت كاهله الى حد كبير • فان الفلاح الذي كان أمام اختيارين في العهد العثماني : «تحمل ما هو عليه من وضع

(لا يحتمل ــ ك٠م٠) او الموت جوعا» حسب وصف الرحالة الانكليزية آنا بلانت (A. Blunt)[٨٦] اصبح ملزما بعد الاحتلال مباشرة ــ وباعتراف الوثائق البريطانية نفسها ــ بدفع ضرائب أكثر من السابق واداء اعمال شاقة بالسخرة والتنازل عن ارضه دون تعويض والرضوخ أكثر لكل إقطاعي مد يد التعاون للمحتل الجديد ٠ والان لندع الأرقام تحدد لنا البعد الواقعي لهذا الموضوع الحساس :

تعترف الوثائق البريطانية صراحة بأن الضرائب المباشرة في المناطق المحتلة ارتفعت في العام ١٩١٨ ــ ١٩١٩ بمقدار ١ر٦٥ مرة بالمقارنة مع ما كانت عليه في العام ١٩١١ ــ ١٩١٣ ٠ اما في السنة المالية التالية (١٩١٩ ــ ١٩٢٠) فانها ارتفعت بمقدار أكثر من مرتين ٠ وتتجسد هذه الصورة أكثر اذا علمنا ان واردات الادارة المدنية البريطانية في العراق خلال ١٩١٧ ــ ١٩١٨ بلغت ٥ر١٥٢ لك[٨٧] روبيه جاء اكثر من نصفها (٥ر٧٩ لك) من الضرائب الزراعية والبقية تقريبا (٥ر٦٧ لك) من الرسوم ، بينما أصبح الخط البياني للواردات نفسها في العام التالي على هذا النحو : بلغت الواردات ٢٩٣ لك جاء اكثر من ثلثيها (٥ر٢١٧ لك) من الضرائب الزراعية بينما انخفض المقدار النسبي والمطلق للرسوم المجباة بحيث بلغت هذه المرة ٦٥ لكا فقط ٠ وتتجسد الصورة نفسها اكثر من خلال ما ذكره احد الموظفين الاداريين البريطانيين الذي اعترف بان معدل ما كان

---

(٨٦) ل٠ن٠ كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، موسكو ، ١٩٥٨ ، ص ٤٤ ، ١٩٩ .

(٨٧) « لك » كلمة هندية الاصل وتعنى مئة الف .

يصيب الفرد العراقي من الضرائب المجباة بلغ ضعف ما كان يصيب الفرد في مقاطعة البنجاب الهندية التي مضت حوالي مئتي عام على الوجود البريطاني فيها . والابلغ من ذلك ما نشرته الـ «ديلي ميل» في عز ايام الثورة بهذا الصدد . فقد كتبت الصحيفة الانكليزية في عددها الصادر يوم ١٢ تموز ١٩٢٠ تقول ما نصه : «كشفت ميزانية العراق للسنة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ عن ضرائب بلغت خمسة ملايين ونصف المليون جنيه استرليني ، اي ما يعادل جنيهين للفرد الواحد من السكان . وفي قطر شرقي تعتبر هذه الضرائب شيئا لم يسمع به تقريبا . ففي بريطانيا العظمى ، التي كانت يوما ما غنية جدا ، كانت كل ضريبتنا قبل الحرب ثلاثة جنيهات ونصف الجنيه فقط للفرد الواحد»(٨٨) . من هنا لا يبدو غريبا ان المؤسسة الوحيدة التي ظلت تعمل ضمن الادارة المدنية البريطانية طيلة سنوات الحرب كانت .... مديرية الواردات ! ! .

كان على الفلاح العراقي ان يؤدي للمحتلين الانكليز ما كان يؤديه للعثمانيين من اعمال السخرة او اعمال الزامية لقاء أجر قليل مما كان يعني ابعاد الوف مؤلفة من الفلاحين وغيرهم عن اعمالهم الاصلية . وباعتراف المسؤولين البريطانيين انفسهم لم تعدم حالات كانوا يلجأون فيها الى استخدام القوة لجمع الناس من المناطق النائية بسبب حاجتهم الى الايدي العاملة لانجاز مشاريعهم العسكرية وغيرها والتي مس قسم منها مصالح

---

(٨٨) د. صالح جواد الكاظم ، عن ثورة العشرين وبعدها القومي، ــ « العراق » ، بغداد ، ٣٠ حزيران ١٩٧٧ .

المنتجين الزراعيين مباشرة • فحسبما يشير التقرير الخاص الذي رفع الى مجلس العموم واللوردات عن سير الادارة في العراق ، انجزت السلطات البريطانية في منطقتي سوق الشيوخ والعمارة مشاريع لرفع مستوى المياه في نهر دجلة وهور الحمار بقصد تسهيل الملاحة أمام السفن التي كانت تزود قوات الاحتلال بالمؤن والذخيرة مما ادى ــ باعتراف التقرير نفسه ــ الى قطع المياه عن حقول الرز العائدة للعديد من العشائر المحلية في حوض دجلة (٨٩) •

ومنذ البداية تبنت سلطات الاحتلال سياسة زراعيه من شأنها تقليص الملكية الزراعية الصغيرة للفلاحين ، وهو ما اعترفت به جريدة الـ «تايمس» دونما مواربة في عددها الصادر في ٢٣ أيلول من العام ١٩١٩ • وان ضغط الضرائب والرسوم على أبناء هذه الفئة من اصحاب الاراضي تحول الى عبء جديد على امكاناتهم الاقتصادية المحدودة ، ذلك لان مقدار مثل تلك الرسوم كان يبلغ في بعض الاحيان ، وباعتراف الوثائق البريطانية ، حوالي ربع قيمة الارض الاصلية • واصبحت هذه الاخيرة تخضع كذلك لمشيئة الحكام الجدد الذين استولوا على مساحات واسعة من الاراضي المحيطة بالمدن الكبيرة لانجاز مشاريعهم بأسعار كانت دون السعر الحقيقي للارض آنذاك (٩٠) مما أثار استياء العديد من ملاكي تلك المدن •

---

(٨٩) ل.ن. كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠ ، ص ٦٧ــ٧٠ •

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ــ ٧٦ ، ٧٨ •

لم يستطع العثمانيون حتى النهاية فرض سيطرة مباشرة على مناطق واسعة من الفرات الاوسط • وظل الامر على وضعه بالنسبة للانكليز كذلك حتى العام ١٩١٧ حيث بقي السكان ، وكذلك «العديد من الشيوخ والملاكين المعينين من قبل الانكليز ممثلين عن السلطة» ، يتجاهلون الاوامر الصادرة عنها ، فامتنعوا عن دفع الضرائب واستمروا في صلاتهم التجارية مع المناطق المحتلة من قبل الاتراك • ولكن ما ان استتبت الامور بالنسبة للمحتلين الجدد حتى تبنوا سياسة خاصة ازاء هذه المنطقة ، فبدأوا بارسال قطعات من قواتهم الى بعض المناطق الستراتيجية فيها ، واقاموا الاجهزة الادارية في أجزاء مختلفة منها ، واستعانوا ببعض الشيوخ الذين سبق ان طردوا من قبل عشائرهم ، وابعدوا بالمقابل العديد من الشيوخ «الجامحين» من الذين رفضوا التعاون معهم كما بدأ البعض منهم يشكون في مستقبلهم • وقد بلغ الامر بالحكام الجدد حد انهم بدأوا حتى بالتدخل في شؤون العتبات المقدسة التي تقلصت مواردها ووضعت جميع اراضي الوقف التابعة لها تحت اشراف مباشر للسلطات الانكليزية التي هيمنت في الوقت ذاته على مرافق الحياة المختلفة في مدينتي النجف وكربلاء • وكما تشير التقارير البريطانية فقد حرم كل معارض لمثل هذه السياسة المركزية من متنفذي المدينتين من المنح المالية ، بل وتعرض قسم منهم للنفي والابعاد[٩١] • وكان

(٩١) المصدر نفسه ، ص ٧٩ — ٨٠ . من الجدير بالذكر ان الحاكم البريطاني العام السر ارنولد ولسن يعترف ، ولكن مع التبرير ، بتأثير جميع العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي يوردها الدكتور كاتلوف في تحريك العراقيين ضد =

من الطبيعي جدا ان تولد مثل هذه السياسة رد فعل قويا بين اوساط اجتماعية مختلفة في هذه المنطقة الحساسة ذات التقاليد الثورية المعروفة (٩٢) .

أثارت هذه العوامل نفسها ، مع غيرها ، سكان العديد من المدن العراقية . فان ازمة الحرفيين التي بدأت مع اندماج البلاد بالسوق الرأسمالية العالمية قد تعمقت أكثر مع الاحتلال البريطاني . وفيما عدا الكومبرادور(٩٣) لم تكن الفئات التجارية الاخرى مرتاحة من آثار السياسة الاقتصادية الجديدة ، خاصة وانها أدت الى انخفاض القوة الشرائية لدى اوساط واسعة من

= الانكليز (راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 - 1920. A clash of loyalities, London, 1931 , PP. 311 - 312).

(٩٢) من المعروف ان مناطق الفرات الاوسط كانت تشكل واحدة من الاصقاع الاقل استقرارا والاكثر مشاكل في العهد العثماني ، وهي شهدت سلسلة من الانتفاضات والتحركات هزت السلطة العثمانية في كل البلاد ، وفرضت نوعا من الاستقلال الذاتي للمنطقة ، ولا سيما للمدينتين المقدستين فيها ، فلم يكن من السهل للانكليز « ترويضها » . وليس عبثا ان يشكو السيربيرسي كوكس من عشائر المنطقة ويعتبر النجف وكربلاء « المشكلة الاكثر ازعاجا » (راجع : H. A. Foster , Op. Cit., P. 57).

(٩٣) تكونت هذه الفئة مع الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية وهي كانت تتألف بالاساس من عناصر يهودية وفارسية وهندية وأرمنية . كان « الكومبرادور » أكثر الفئات الاجتماعية تحمسا للاحتلال البريطاني الذي أدى الى ظهور امكانات جديدة امامها .

الجماهير العراقية . وسرعان ما اصابت الخيبة القطاعات المدنية التي كانت تربط ازدهار البلاد الحضاري وانتعاشها بمقدم الاوروبيين[٩٤] . وربما يكفي ان نقتصر هنا على ايراد مثل معبر واحد عن واقع مؤلم لا تزال آثار صورة مشوهة له تراود اذهان الكثيرين[٩٥] . فان الانكليز خصصوا لاحتياجات التعليم في كل العراق خلال السنة المالية ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ مبلغا يعادل حوالي ٧٠ ألف ليرة تركية ، وهو ما لم يفعله حتى العثمانيون الذين خصصوا في العام ١٩١١ ــ ١٩٢٠ نصف ذلك المبلغ (٣٤ ألف ليرة) لامور التعليم في ولاية بغداد وحدها . فكان من الطبيعي ان لا يتجاوز عدد المدارس في كل العراق قبل انفجار الثورة بأشهر قليلة ٩٠ مدرسة بضمنها المدارس الخاصة[٩٦] . بينما في العام ١٩١٤ بلغ عدد المدارس في البلاد ١٩٢ مدرسة رسميه

---

(٩٤) كانت الفئات المدنية العراقية مستاءة من السياسة العامة للعثمانيين ، وهي كانت واقعة تحت تأثير سحر الحضارة الغربية . ولم تكن في ظروف يسمح لها بالفرز بين تلك وواقع سياسة الدول الاوروبية الكبرى ، فكان لا بد لها من الاحتكاك المباشر بها حتى تفهم طبيعتها كما هي في الواقع .

(٩٥) هذا لا يعني اننا ننكر حقيقة ان مجيء الانكليز هيأ ظروفا أحسن من العهد العثماني لتطور البلاد ، الا ان مثل ذلك الامر يرتبط بطبيعة الحضارة الراسمالية نفسها التي من شأنها التأثير حتى على « اكثر الشعوب بربرية » ، ثم ان الاستغلال الاستعماري « الامثل » يحتاج الى مقومات خاصة تفرض اقامة مشاريع متطورة كالسكك ومحطات توليد الطاقة وغيرها .

(٩٦) ل.ن. كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

وأهلية[٩٧] . وقد جذب ذلك أنظـار بعض المثقفين قبل الثورة مباشرة [٩٨] .

أو لم «يحق» للمحتلين الجدد ، اذا ، ان يتعاملوا بكل خشونة وتعال مع مـن يسمح او لا يسمح لنفسـه بالوقوف بوجههم او الاعتراض عليهم . فان الانكليزي المعروف ببرودة دمه وتقدمه أخذ يلتجىء في ارض الرافدين الى اساليب مختلفه في تعامله مع الناس كانت تبدو حتما غريبـة ، بل ومضحكـة في نظر مجتمعه الذي جاء منه . فحسبما يروي شاهـد عيان كان البريطانيون يتصرفون بقسوة بالغة مع المواطنين . فكان الضرب ـ مثلا ـ نصيب كل من يسمح لنفسه بعدم الوقوف عند مقدم أحدهم ، ولم ينج من مثل هذه «المكرمة» حتى المسنون والاطفال، ولم يتردد مـن اللجوء اليها حتى بعض كبار مسؤوليهم[٩٩] . فماذا بقي امام الشعب العراقي سوى الانتفاضة والثورة ، وهل كان في امكان بعض التناقضات الداخليـة الحيلولة دون جمع فئات من القمة واخرى من القاعدة في خندق واحد في مثل تلك

---

(٩٧) راجع : عبدالرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨–١٩١٧ ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢٥٢ .

(٩٨) راجع : علي ال بازركان ، الوقائع الحقيقية في الثـورة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٩١–٩٢ .

(٩٩) ل.ن. كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعـام ١٩٢٠ في العراق ، ص ٨٤ . سجل هذه الحقيقة العديد من المؤرخين العراقيين الذين عاصروا بداية الاحتـلال البريطاني للبلاد منهم محمـد طاهر العمـري في كتابـه « تاريخ مقدرات العراق السياسية » ورفيق حلمي فـي كتابه « ياد داشت » (المذكرات) .

الظروف ؟ . ومع أن ميلاد « الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠ » كان أمرا حتميا، ورد فعل منطقيا على سياسة الظلم والاستعباد وتعبيرا صادقا عن ارادة شعب في التحرر والاستقلال، وقد جاءت في توافق تام مع سير التاريخ في مرحلته الجديدة التي « دشنت ثورة اكتوبر الاشتراكية » بدايتها ، وبالرغم من زخم احداثها ، التي كرس لها المؤلف الفصل الرابع من كتابه[١٠٠] ، فان المستعمرين تمكنوا من القضاء عليها في نهاية الامر وحجموا نتائجها الى حد لم يتفق مع ما قدمته الجماهير من تضحيات . ولا يربط الدكتور كاتلوف هذا الامر بمجرد الاختلاف الكبير في ميزان القوى بين الطرفين، وان كان يولي ذلك اهتماما كبيرا ويضعه بين العوامل الاساسية التي ادت الى اخفاق «ثورة العشرين»[١٠١] . فقد تفاعلت عوامل اساسية أخرى لا تقل أهمية في رسم مثل تلك النتيجة ، عوامل شكلت ثغرات كبيرة عرف المستعمرون كيف ينفذون من خلالها .

ان قرونا من الاستغلال الاقطاعي الاسيوي المتخلف وان قوة بقايا الاشكال المبكرة من النظام القبلي وعوامل اخرى حددت من وعي الفلاحين ــ جيش الثورة الرئيس ــ الى حد

---

(١٠٠) كرس الدكتور كاتلوف الفصل الثالث من كتابه (ص ٨٦ ــ ١١٨) للتحدث عن التحركات الثورية التي سبقت « ثورة العشرين » وبشكل خاص تلك التي وقعت في المناطق الكردية وفي النجف وغيرها ويقيم اهميتها بالنسبة لاحداث الثورة نفسها في انها بينت بالتجربة امكانية تحدي اكبر قوة استعمارية واجبارها على التراجع.

(١٠١) ل.ن. كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، ص١٨٦ .

كبير ، فحيثما تحرك رئيس العشيرة تحرك معه الفلاحون ، ومتى ما ألقى هو السلاح القوا هم بدورهم السلاح وتركوا سوح النضال • بل ان قطاعات واسعة من الفلاحين لم تحمل السلاح أصلا بالرغم من استيائها وذلك لمجرد سبب «بسيط» واحد هو ان الانكليز تمكنوا من كسب زعمائها الى جانبهم قبل الاحتلال أو بعده مباشرة ، كما حدث بالنسبة لمناطق واسعة في حوض دجلة الجنوبي وغيره حيث بقيت «العشائر» موالية للانكليز ، مما كان يعني تحديد نطاق المناطق الثائرة أولا وتسهيل مهمة القوات المعادية بتركيز نشاطها العسكري على أقل المساحات ثانيا •

ولم يترك النزاع القبلي واستغلال الواقع القومي والديني للشعب العراقي اثرا اقل في خلق الظروف نفسها • ففي هذه المرحلة كان المجتمع العراقي مقسما بالاساس الى «عدة مئات من القبائل العربية والكردية الكبيرة والصغيرة التي كانت تضع (كل واحدة منها ــ ك•م•) العشيرة في مقابل بقية سكان البلاد» ، ومن هنا اصبح النزاع القبلي من الظواهر الاجتماعية المألوفة • ففي منطقة سوق الشيوخ وحدها كانت تعيش حوالي ٥٠ عشيرة صغيرة متنازعة فيما بينها • وكانت الموصل منطقة نزاع بين عشيرتي شمر وعنزة(١٠٢) • وهكذا التهت عشائر كثيرة بنزاعاتها في ايام الثورة الحاسمة ، واتخذت بعض القبائل موقف المتفرج من الاحداث الدامية لان «اعدائها» برزوا ، لسبب او لاخر ، في مقارعة المستعمرين • وغذى الضباط الانكليز منذ ان

---

(١٠٢) المصدر نفسه ، ص٦١ •

وطأت اقدامهم ارض العراق روح النزاع هذه بين أبناء العشائر والقوميات والاديان والمذاهب المختلفة . فمثلا لم يكن من الصعب على الانكليز استغلال الظروف الصعبة للاثوريين لتحويل قطاع واسع منهم الى آلة لقمع الحركات المناهضة لوجودهم(١٠٣). وبالسهولة نفسها اوحى الضباط السياسيون الى العديد من روءساء العشائر الكردية وكأن ما يجري في الوسط والجنوب أمر ثانوي «يخص العرب وحدهم» .

انعكس واقع البنية الاجتماعية نفسها على تحرك المدن العراقية ايام «ثورة العشرين» . فان العلاقة بين المدينة والريف كانت لا تزال تتحرك في اطار ضيق . فالفقر المدقع للمواطن قد حال دون نمو العلاقات الاقتصادية بينهما بشكل سريع . وعلى سبيل المثال نذكر هنا ان الفرد العراقي ظل الى ما قبل الحرب العالمية الاولى يشتري من البضائع المستوردة ، وفي أحسن الاحوال ، حوالي ١٨ مرة أقل من الفرد الايطالي و ١١ مرة أقل من المصري و ٧ مرات أقل حتى من المعدل العام في الامبراطورية العثمانية نفسها(١٠٤) . وقد حال الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية دون استمرار التطور الطبيعي للانتاج الحرفي في المدينة

---

(١٠٣) يدين المؤلفان الاثوريان السوفيتيان بارمتاي ومار يوحنا دور القيادة الاثورية في دفع بسطاء الاثوريين ــ ضحايا القياصرة الروس والحكام الانكليز ــ للاشتراك في قمع « ثورة العشرين » (راجع : ك.ب. ماتفييف (بارمتاى) و ى.ي. مار يوحنا ، القضية الاثورية خلال وبعد الحرب العالمية الاولى، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٦٨، ص٨٤).

(١٠٤) احتسبت بالاستناد الى الارقام الواردة في ص٤٩ ــ ٥٠ من كتاب ل . ن . كاتلوف .

بشكل يفضي الى ظهور فئات اجتماعية متنفذه من نوع جديد • فقد تقلص عدد أنوال النسيج العاملة في مدينة بغداد وحدها ، مثلا ، من ١٢ ألف نول في النصف الاول من القرن التاسع عشر الى مئات قليلة فقط في بداية القرن العشرين(١٠٥) • وكان مجال التطور أمام الصناعة الوطنيـة ضيقا الى حد كبـير بحيث ان استيراد آلة نسيج يدوية واحدة من الخارج الى بغداد كان يعد «حادثة تستحق اهتماما خاصا» حسب تعبير القنصل البريطاني(١٠٦) • من هنا فان عملية تكوين البورجوازية الوطنية كانت تجري بشكل بطيء واصطدم تطورها بعوائق كبيرة نجم معظمها من ضغط الرأسمال الاجنبي الذي تضاعف مع الاحتلال البريطاني • لذا اصبح الاستقلال السياسي للبلاد مسألة حيوية بالنسبة لها ، فصاغ ذلك ثوريتها التي أهلتها لان تلعب دورا ملموسا في جبهة القوى المعادية للاستعمار ، الا ان نفوذها اقتصر حينذاك على عدد قليل من المدن الكبيرة • وكانت تقابل هـذا الجناح البورجوازي أجنحة اخرى قوية كانت مستعدة للتساوم مع الاجنبي ، أو ساومت فعلا معه وذلك بحكم عوامل محددة • فالبورجوازية التجارية الكبيرة الوسيطة (الكومبرادور) كانت ، كما ذكرنا ، تقف بحماس ضد كل ما مـن شأنه عرقلـة تثبيت النفوذ السياسي والاقتصـادي الغربي في البلاد ، وكان لهؤلاء وزن خاص في مدينـة البصرة • وليس عبثا ان نشـرت جريدة الـ «تايمس» في عددها الصادر في ٩ تشرين الاول من العام ١٩٢٠

---

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص٥١ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص٥٠ .

بارتياح واضح نبأ ما أعلنه «عدد من وجهاء البصرة» عن تأييدهم للادارة البريطانية و « استنكارهم لكل اضطراب في البلاد» .

اما المرابون المرتبطون بالاستغلال الاقطاعي للفلاح فقد اتخذوا موقفا مشابها للموقف الذي اتخذته اكثر القوى الاقطاعية تخلفا . ومع ان محاولات المستعمرين لفرض سيطرتهم المطلقة على مختلف مرافق الحياة الاقتصادية للبلاد قد أضرت بمصالحهم في بداية الاحتلال الى حد ما ، الا انهم ظلوا يعادون كل تحرك من شأنه احداث أي اختلال في الريف . وقد انعكست مساومات معظم الفئات البورجوازية في المواقف التي تبنتها بعض الاحزاب والمنظمات والشخصيات السياسية (بوجه خاص جمعية العهد وقادتها) في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ البلاد . وتتوفر دلائل مقنعة حول هذا الامر . ففي الايام الاولى للثورة قدم جعفر العسكري أحد ابرز قادة «جمعية العهد» طلبا الى المسؤولين الانكليز يعرب فيه عن استعداده لتقديم خدماته للادارة البريطانية في بغداد . وفي أحرج أيام الثورة نشر الزعيم الروحي للجمعية نفسها الامير فيصل تصريحا في جريدة الـ « تايمس » (١٤ آب ١٩٢٠) يعرب فيه عن اخلاصه «لفكرة الاتحاد العربي ــ الانكليزي»(١٠٧) .

---

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص١٢٦ . وردت أقوال مشابهة لتصريحات الامير وبشكل خاص لما نشرته جريدة التايمس عن «وجهاء البصرة» ، في الكلمة التي القاها السيد مزاحم الباجه‌جي في المأدبة التي أقامها عبداللطيف باشا المنديل في البصرة بمناسبة توديع الحاكم العام السابق ولسن (للتفصيل راجع : عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، الطبعة الثالثة الموسعة ، صيدا ، ١٩٧٢ ، ص٢٤٢ ــ ٢٤٣) .

كانت الطبقة العاملة كذلك في دور التكوين • وكان العمال الموسميون يؤلفون قسما كبيرا من افرادها الذين ظلوا ، بالرغم من ظروفهم الصعبة ، يشكلون قوة غير واعية وغير منظمة ، ولم يتمتعوا الا بوزن محدود للغاية في الحياة السياسية للبلاد وان كانوا هم والحرفيون يشكلون قوة التحرك الرئيسة في المدينة التي لعب فيها المثقفون (الشعراء ورجال الدين وغيرهم) دورا قياديا فعالا •

هكذا ، وبحكم العوامل التي ذكرناها فان التحرك الثوري في المدن العراقية ظل دون مستوى الاحداث • فلم تتحرك معظم المدن أصلا ، ثم ان حركة المدن في ايام الثورة لم تنصب في مجرى منظم موحد مع أحداث الريف العراقي ، ويمكن استثناء النجف وكربلاء والى حد أقل بغداد فقط من ذلك •

من خلال هذه اللوحة تمكن ل•ن•كاتلوف من وضع اليد على جميع الثغرات التي تخللت «ثورة العشرين» والتي تمكن العدو من النفوذ من خلالها والالتفاف على الثورة ثم اخماد نيرانها وتحديد نتائجها في أطر ضيقة اذا ما قيست بالمد الثوري العارم والضحايا الكبيرة التي قدمتها الجماهير العراقية بسخاء ، ذلك لان نتائج تلك الثغرات لم تكن أقل تأثيرا من أسلحة المستعمرين الفتاكة في عملية القضاء على الثورة التي استغرقت خمسة اشهر كاملة يستعرض المؤلف مراحلها بشيء من التفصيل•

وبالرغم من اخفاق «ثورة العشرين» في تحقيق أهدافها الاساسية ، الا انها أدت الى نتائج مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي • فقد دشنت بداية مهمة لحركة التحرر ــ الوطني

للشعب العراقي وشكلت ضربة قوية أضعفت مواقع المستعمرين وأثرت على هيبتهم لا في العراق وحده بل وفي المنطقة كلها كذلك . ففي ايام الثورة اضطر الانكليز لنقل ما لا يقل عن ١٤ ألف جندي من قواتهم المتمركزة في المناطق الشمالية ـ الغربية من ايران مما اضعف موقفهم في مجابهة نضال الشعب الايراني ضد تدخلاتهم ، ولا سيما ضد المعاهدة الانكلو ـ ايرانية للعام ١٩١٩[١٠٨] .

بعد الدكتور كاتلوف عالج عدد آخر من المستشرقين السوفيت موضوع «ثورة العشرين» وفي الاطار نفسه ، وذلك ضمن بحوث خصصت لدراسة تاريخ العراق المعاصر او حركات التحرر ـ الوطني لشعوب المنطقة . فقد تطرق الى جوانب عديدة منها المتخصص في تاريخ العراق الحديث الدكتور أ.ف.فيدچينكه ، وبشكل خاص في كتابه «العراق في النضال من أجل الاستقلال»[١٠٩] حيث كرس الفصل الثالث منه لموضوع «انتفاضة العام ١٩٢٠» . وهو لا يختلف عن زميله ل.ن.كاتلوف في تقييمه لاحداث الثورة . وعندما يتطرق الى تناسب القوى

---

(١٠٨) ل . ن كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ ، ص١٩٢ .

(١٠٩) أ . ف . فيدچينكه ، العراق في النضال من اجل الاستقلال ، موسكو ، ١٩٧٠ . يقع الكتاب في ٣١٥ صفحة من الحجم الكبير ويعتبر ، بالرغم من بعض الهفوات الواردة فيه ، من احسن الدراسات السوفيتية عن التاريخ السياسي للعراق الحديث . اشترك المؤلف في كتابة العديد من البحوث المتعلقة بتاريخ العراق ، منها بحوث انسكلوپيدية .

الطبقية فيها يؤكد أ.ف.فيدچينكه على انه «وقف على راس حركة الجماهير الفلاحية تلك الفئات الاقطاعية التي تأثرت مصالحها من السياسة المركزية للمحتلين الانكليز » وان « البورجوازية الوطنية لعبت دورا ملموسا في النضال التحرري (للشعب العراقي ـ ك.م.) في هذه المرحلة» خاصة لانها كانت «تتمتع بالنفوذ بين سكان المدن الذين ساهموا بنشاط في النضال ضد الكولونياليين »[١١٠] . وكدليل على الدور الذي لعبه سكان المدن في الحياة السياسية للعراق بعد الحرب مباشرة يشير المؤلف بشكل خاص الى الانتفاضة التي وقعت في مدينة النجف في مايس ١٩١٨ والتي «قادتها المنظمة الوطنية جمعية النهضة الاسلامية» . ومن خلال تطرقه الى العوامل الخارجية التي لعبت دورها في تنبيه أذهان الوطنيين العراقيين أكثر لما يجري حولهم ، يذكر الدكتور فيدچينكه انتشار أنباء انتصارات الشعوب السوفيتية على المستعمرين وذلك عن طريق الناس الذين كانوا يأتون من ايران ومناطق القفقاس لزيارة العتبات المقدسة وبواسطة بعض الصحف الانكليزية والهندية التي كانت تصل الى العراق[١١١] .

---

(١١٠) أ . ف . فيدچينكه ، العراق في النضال من اجل الاستقلال ، ص١٧ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص١٦ . في كتاب هالدين المنوه عنه (ص ٢٧) اشارة الى مسألة تأثير الزوار الايرانيين الى العتبات المقدسة . اما الدكتور كاتلوف فانه يشير بهذا الصدد الى جريدة «الحبل المتين» بشكل خاص . ومن الجدير بالذكر ان الانكليز انفسهم قد ساهموا بشكل غير مباشر في تنبيه اذهان العراقيين الى ما كان يجري في =

أما المستشرق الجورجي أ٠م٠مينتيشاشڤيللي فقد كرس بدوره قسما من الفصل الثاني من كتابه «العراق في سنوات الانتداب الانكليزي »[١١٢] للبحث عن النضال التحرري للشعب العراقي منذ بداية الحرب العالمية الاولى ، ولا سيما للاحداث التي شهدتها البلاد في العام ١٩٢٠ ويعطي ــ بالاستناد الى مصادر مختلفة ــ صورة واقعية عن زخمها من خلال الارقام التالية عن خسائر الطرفين التي بلغت ٤٢٦ قتيلا و ٦١٥ مفقودا و١٢٢٨ جريحا في صفوف المحتلين يقابلها حوالي ٨٥٠٠ قتيل في صفوف الثوار ٠ كما ان اخماد «ثورة العشرين» كلف الخزينة البريطانية ١٠٠ مليون جنيه استرليني[١١٣] ٠ فلا عجب اذا ، اذا ادرك المسؤولون الانكليز انه «ليس بوسعهم الحفاظ على هذه

= روسيا بعد انتصار ثورةاكتوبر هناك، ولاسيما عن طريق صحافتهم التي كانوا يصدرونها باللغات العربية والكردية والفارسية والانكليزية . فان جريدتي «العرب» و «تيگه‌يشتني راستي» (فهم الحقيقة) طافحتان بالمواد التي يحاول اصحابها تبيان «الآثار السيئة» التي تركها الغاء النظام القيصري وانتقال السلطة الى العمال والفلاحين . ويقر العديد من المسؤولين الانكليز (گيرترودبيل والميجر سون وغيرهما) تأثير أفكار اول ثورة اشتراكية في العالم وكذلك المد العارم للنضال التحرري لشعوب المنطقة على فكر الاوساط العراقيةالمختلفة، والمثقفة منها بشكل خاص.

(١١٢) أ ٠ م ٠ مينتيشاشڤيللي ، العراق في سنوات الانتداب الانكليزي ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٦٩ ٠ انجز الزميل الدكتور هاشم صالح التكريتي ترجمة هذا الكتاب الذي يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة الى اللغة العربية .

(١١٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

البلاد (العراق ــ ك٠م٠) بنظام كولونيالي مكشوف» والتجأوا الى اسلوب جديد في حكم البلاد اعتمد على «ملك واحد والف شيخ» حسب التعبير المستعار لمؤلفي كتاب «العراق أمس واليوم»(١١٤) ٠

وقد استنبط المسؤولون الانكليز هذا الدرس بعد ان جربوا ، دون جدوى ، كل اساليب القسوة مع القوى الوطنية العراقية منذ ان وطأت اقدام جنودهم ارض الرافدين والتي بلغت ذروتها ايام «ثورة العشرين» ٠ وهنا يورد المستشرق المعروف البروفيسور ب٠م٠ دانتسيگ(١١٥) أقوال « الجاسوس الانكليزي المحنك » لورانس الذي ذكر في تعليق له على اساليب قمع الثورة في العراق ما نصه :

«ان حكمنا أكثر قسوة من الحكم التركي القديم٠ فالاتراك اكتفوا باستخدام ١٤ ألف شخص وقتلوا في

---

(١١٤) ي . ميلوڤانوڤ و ف . سيف الملوكوف ، العراق أمس واليوم ، موسكو ، ١٩٥٩ ، ص ١٣ .

(١١٥) البروفيسور ب . م . دانتسيگ مستشرق سوڤيتي معروف ، له دراسات كثيرة عن مختلف أقطار الشرق الاوسط كرس قسما غير قليل منها لدراسة تاريخ العراق وحياته الاقتصادية . ففي العام ١٩٥٥ أصدر كتابا بعنوان «العراق . دراسة جغرافية مختصرة» . وفي العام ١٩٦٠ أصدر كتابا آخر بعنوان «العراق في الماضي والحاضر» واشترك في كتابة مادة «العراق» في «الانسكلوپيديا التاريخية السوفيتية» (الجزء السادس، موسكو ، ١٩٦٥، ص ١٩٥ ــ ٢١٢) وفي الطبعة الاخيرة من «الانسكلوپيديا السوفيتية الكبرى» (الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٧٢ ، ص٣٩٤ ــ ٤٠٣) .

السنة ٢٠٠ عربي من أجل الحفاظ على النظام . اما نحن فنحتفظ بجيش قوامه ٩٠ ألف شخص مع مطارات حربية ودبابات وسفن نهرية مسلحة ومصفحات ، وقتلنا في هذا الصيف أثناء الانتفاضة (في العراق ـ ك.م.) حوالي عشرة آلاف شخص»(١١٦) .

الى جانب كل ذلك وردت اشارات مختلفة الى «ثورة العشرين» في مختلف طبعات دوائر المعارف السوفيتية(١١٧) وفي العديد من الكتب الدراسية الجامعية(١١٨) وغيرها . والمهم ان نشير بهذا الصدد الى انه خصص مبحث خاص لموضوع الثورة في الطبعة الاخيرة من «الانسكلوپيديا السوفيتية الكبرى» مما يشكل ، حسب معلوماتنا ، الحالة الوحيدة بالنسبة لاصدارات

---

(١١٦) ب . م . دانتسيگ، العراق في الماضي والحاضر، ص٢٣ .

(١١٧) راجع : «الانسكلوپيديا السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثانية ، الجزء الثامن عشر ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ص٣٨٨ ، الطبعة الثالثة ، الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٧٢ ، ص٣٩٦، «الانسكلوپيديا السوفيتية الصغرى» ، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٥٩ ، ص١٧٥ ، «الانسكلوپيديا التاريخية السوفيتية»، الجزء السادس ، موسكو، ١٩٦٥، ص١٩٩ .

(١١٨) راجع على سبيل المثال : «تاريخ حركات التحرر ـ الوطني والحركات العمالية العالمية» ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٦٢ ، ص٤١٠ ـ ٤١١ . ورد البحث عن «ثورة العشرين» في هذا الكتاب تحت عنوان مستقل هو «الانتفاضة الشعبية للعام ١٩٢٠» . راجع كذلك الطبعة الثانية للكتاب نفسه (موسكو ، ١٩٦٩ ، ص٥٦٧ـ٥٦٨) .

دوائر المعارف المعروفة في العالم ، وقد كتبه ل٠ن٠كاتلوف[١١٩]٠

وقبل ان نأتي الى عرض ما ورد في آخر دراسة سوفيتية عن «ثورة العشرين» يجدر بنا ان نتطرق بايجاز الى تقييم أحد الاساتذة العراقيين المعروفين لكتاب الدكتور كاتلوف «الانتفاضة الوطنية ــ التحررية للعام ١٩٢٠» الذي يعبر اكثر من غيره عن نظرة الاستشراق السوفيتي الى أحداث النضال التحرري للشعب العراقي بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ٠

بين الوردي وكاتلوف

انتقد الدكتور علي الوردي «الباحث الروسي» كاتلوف[١٢٠] على اساس ان «في ذهنه «مسطرة» يريد تطبيقها على المجتمع العراقي بوجه عام وثورة العشرين بوجه خاص» ٠ ولانه يريد «في دراسته ان يثبت اولا ان المجتمع العراقي كان قبل ثورة العشرين يسيطر عليه النظام الاقطاعي ، وان الذين قاموا بالثورة هم جماهير الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين ، ثم يستدرك (أي كاتلوف ــ ك٠م٠) فيقول ان قيادة الثورة

---

(١١٩) راجع : «الانسكلوپيديا السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثالثة ، الجزء العاشر ، ص٤٠٤ . يوجد كذلك بحث مستقل في الجزء السادس من «الانسكلوپيديا التاريخية السوفيتية» (ص٢١٧ ــ ٢١٩) تحت عنوان «انتفاضة العام ١٩٢٠ العراقية» وقد كتبه الدكتور كاتلوف أيضا .

(١٢٠) يستند الاستاذ الوردي الى الترجمة العربية لكتاب الدكتور كاتلوف (راجع الهامشين ٨٤ و ١٢٥) .

كانت في يد شيوخ العشائر ورجال الدين والبورجوازية الوطنية» . ويضيف الدكتور الوردي «ولست أدري كيف يمكن ان تكون الثورة قامت ضد الاقطاع بينما شيوخ العشائر ورجال الدين هم الذين تولوا قيادتها»(١٢١) .

من المسلم به ان الاحداث التاريخية تخضع لقوانين معينة أجهد المؤرخون والفلاسفة انفسهم في سبيل كشف أسرارها منذ القديم ، وبشكل خاص منذ «عصر النهضة» الاوروبية . والاحداث التاريخية كانت ، وتبقى وليدة عوامل محددة تتأثر بظروف الزمان والمكان . وقد حاول الدكتور كاتلوف في ضوء هذه الحقيقة تقديم صورة واقعية عن «ثورة العشرين» كظاهرة تاريخية تفاعلت في خلقها مجموعة عوامل نابعة من الظروف الموضوعية للمجتمع العراقي نفسه(١٢٢) . ثم انه لم يحاول ان «يثبت ان المجتمع العراقي كان قبل ثورة العشرين يسيطر عليه النظام الاقطاعي» . فذلك مما لا يحتاج لمحاولة اثباته ، وقد بين كاتلوف حقيقة واقعة نقل عنها صورا لرسم البنية الاجتماعية للشعب العراقي قبل «ثورة العشرين» حتى يمكن فهم العوامل الكامنة وراء مواقف وتصرفات فئات اجتماعية مختلفة غالبا ما يوليها الاستاذ الوردي نفسه اهتماما واضحا في دراساته . ولم يذكر كاتلوف «ان الذين قاموا بالثورة هم جماهير الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين» بل أكد مرارا ، وعلى اساس مادي ملموس ، ان جميع الفئات الاجتماعية تقريبا اسهمت في الثورة ،

---

(١٢١) راجع : الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٣١٩ .

(١٢٢) تطرقنا الى أهمها ضمن عرضنا للكتاب .

ولكن اختلف دورها وموقعها في احداثها . فان «جيشها الرئيس ووقودها» كان من الفلاحين والبدو في الريف ومن الحرفيين والعمال وبسطاء الناس في المدينة(١٢٣) ، بينما قاد هؤلاء واولئك رجال الدين ورؤساء العشائر والمثقفون ، وهو يقول ذلك دون أي استدراك . كما لم يذكر ان «الثورة قامت ضد الاقطاع» بل على العكس من ذلك صحح بمعالجته الواقعية الموضوع أخطاء غيره ممن سبقوه بهذا الصدد كما نبين ذلك فيما بعد . ولا شائبة فيما يوجه من انتقادات لقيادة الثورة ، مع تقديره للجوانب الايجابية الكثيرة فيها . وكل ما هنالك ان الدكتور كاتلوف يرى أن الاستغلال الاقطاعي الطويل قد حول الفلاح العراقي الى أداة غير واعية مما شكل ثغرة كبيرة في القاعدة التي استندت اليها كل الحركة الثورية في العراق يومذاك . وتأتي صياغة المؤلف لهذا الموضوع على النحو التالي عندما يتطرق ، على سبيل المثال ، الى الوضع في المناطق الشمالية فيقول :

---

(١٢٣) تقدر ضحايا «ثورة العشرين» بالالاف وكان جميعهم تقريبا من الفلاحين فيما عدا عدد قليل منهم كانوا من فقراء المدن . أما اقصى ما أصاب قادتها فقد اقتصر على السجن والابعاد ومصادرة الاملاك أو الاموال في حالات معينة ، ولكن سرعان ما اعيدت الاوضاع الى «حالتها الطبيعية» لمعظم هؤلاء من «ضحايا» الثورة . وهنالك من افراد القمة من أثروا على حساب الثورة واصبحت لهم مكانة بارزة في القوائم الانكليزية الخاصة . واننا عندما نذكر هذه الحقيقة لا نريد الانتقاص من دور قادة «ثورة العشرين» ، لكن من الاجحاف ، بالمقابل ، طمس دور وقود الثورة — جماهير الشعب ، بغض النظر عن مستوى وعيها يومذاك .

«وبالرغم من الاستغلال الفظ للفلاحين من قبل الاقطاعيين فان العلاقات بين المستغلين (بفتح الغين) والمستغلين (بكسر الغين) ... لم تكن قد اتخذت بعد طابع تناقض طبقي حاد . فان عملية الاستقطاب الطبقي للفلاحين قد تأخرت ، ولا سيما من جراء استمرار وجود بقايا النظام القبلي(١٢٤) التي استغلتها القمة الاقطاعية بذكاء والتي ولدت اوهاما باطلة بين الجماهير الكادحة . وان كل هذا خفف بشكل محدد من حدة الصراع الطبقي وتحول الى اساس لنفوذ ملموس للقمة الاقطاعية ، والذي (أي النفوذ ـ ك.م.) تعاظم أكثر بحكم جمع زعماء معظم المناطق الكردية والاثورية واليزيدية بين السلطتين الدينيه والدنيوية في أيديهم»(١٢٥) . ومن الزاوية نفسها يقيم الوضع في المناطق الاخرى من البلاد وهو وضع تقع مسؤوليته على طبيعة الهيكل الاجتماعي والعلاقات السائدة فيه آنذاك . وكل ذلك من الامور التي تركت بصماتها على ميلاد «ثورة العشرين» ومسارها مع نتائجها في ظروف العراق الخاصة زمنا ومكانا . وفي ضوء ذلك ، مع حقائق اخرى ، يرى الدكتور ل.ن.كاتلوف وغيره انه لم تتوفر في العراق في بداية العشرينيات الظروف لظهور

---

(١٢٤) يقصد الاشكال المبكرة من النظام القبلي حيث تلعب علاقات الدم والقرابة دورا اساسيا في تنظيم الصلات العشيرية .

(١٢٥) ل . ن . كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، ص٣٦ . اقتبسنا هذه الفقرة بالذات لا لتعبيرها الدقيق عن الواقع الاجتماعي السائد في العراق آنذاك فحسب ، بل كذلك كنموذج للترجمة غير الدقيقة للكتاب (راجع ص٣٨ من الطبعة الثانية للترجمة العربية) .

قيادة اخرى غير تلك التي قادت الثورة • لكن ذلك لا يتناقض مع التأكيد على انه لو كانت قيادة الجماهير العراقية بيد فئات اجتماعية أكثر وعيا وثباتا لربما تمكنت الحركة من تحقيق نتائج أفضل من تلك التي حققتها • وليس عدم الثبات وتغيير الخنادق في خضم الاحداث من الصفات الخاصة بالاقطاع العراقي ، بل انهما وغيرهما يرتبطان بطبيعة النظام الاجتماعي القائم نفسه • وتاريخ أوروبا في العصر الوسيط وأواخره ملىء بالشواهد على ذلك • ثم ان قيادات اخرى حققت في العراق على مدى سبعة عقود أخيرة نتائج أكبر واهم من تلك التي حققتها «ثورة العشرين» بالرغم من أهميتها التاريخية الكبيرة • ومن نافلة القول ان ذلك نجم عن حقيقة مجردة هي «ان ثورة العشرين في انتصارها وهزيمتها لم تخضع لارادة أحد من البشر ، بل انها جرت تبعا للظروف التي أحاطت بها» لان «الانسان في معظم أحداث التاريخ يجري وفق ما تملي عليه ظروفه •••»(١٢٦) وهذا غاية ما أراد ل•ن•كاتلوف تبيانه من خلال دراسته لاحداث «ثورة العشرين» •

ان تقدير هذه الامور بشكل خلاق هو الذي يميز البحوث السوفيتية المكرسة لدراسة «ثورة العشرين» عن تقييمات الغربيين لها • وهذا ما يبدو جليا في آخر دراسة في الاستشراق السوفيتي عن الثورة •

---

(١٢٦) الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص٣٥١ •

«ثورة العشرين»
في آخر دراسة سوفيتية

نشر رئيس قسم الدراسات العربية في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم أرمينيا السوفيتية الدكتور ن . و . اوهانيسيان في العام ١٩٧٦ آخر كتاب في الاستشراق السوفيتي عن «حركة التحرر ــ الوطني في العراق»(١٢٧) .

يبحث المؤلف في الفصل الثالث «اقامة الانتداب الانكليزي ونضال القوى المعادية للاستعمار في العراق من اجل الغائه»(١٢٨) عن «ثورة العشرين» التي كرس لها القسم الثاني من هذا الفصل تحت عنوان « انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية العامة » (ص ١٤٥ ــ ١٧٣) ، فتكون لموضوع الثورة بذلك مكانة بارزة في الكتاب ،خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان جوانب كثيرة من الفصلين السابقين والقسم الاول من الفصل الثالث تتعلق

---

(١٢٧) ن . و . اوهانيسيان ، حركة التحرر ــ الوطني في العراق (١٩١٧ ــ ١٩٥٨) ، باللغة الروسية ، يريڤان ، ١٩٧٦ . يقع الكتاب في ٣٩٤ صفحة وهو في الاصل رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل شهادة دكتوراه العلوم . نشر المؤلف قبل ذلك بحثا مفصلا بعنوان «نضال القوى الديمقراطية العراقية من اجل الغاء الانتداب الانكليزي (١٩٢٠ــ١٩٣٢)» وذلك في كتاب «بلدان وشعوب الشرقين الادنى والاوسط» ، يريڤان ، ١٩٦٧ .

(١٢٨) ن . و . اوهانيسيان ، حركة التحرر ــ الوطني في العراق ، ص١٣٩ ــ ٢٣٨ .

بمقدمات الثورة والظروف التي تمخضت عنها ، كما ان مواضيع مختلفة من الاقسام المتبقية من الفصل الثالث نفسه تدخل ضمن نتائج الثورة السياسية بشكل خاص .

وبما ان المستشرقين السوفيت الآخرين اشبعوا أحداث «ثورة العشرين» بالبحث المستفيض فقد كرس الدكتور اوهانيسيان الجانب الاكبر من جهده لمناقشة امور تستحق العرض في اطار جدلي . وتأتي على رأس تلك الامور نظرة المؤلفين والمسؤولين الغربيين وتقييماتهم للثورة . فهو يناقش آراء هؤلاء (پيرسي كوكس و أدموندس و بولارد وغيرهم) ، كما يناقش الصحافة الانكليزية (وبشكل خاص جريدة الـ «تايمس») التي تحاول تصوير ما حدث في العام ١٩٢٠ كنتيجة لعدم فهم العراقيين لمعنى الانتداب ومضمونه ، ويعتبر ذلك مدعاة للسخرية لان «العراقيين فهموا ومحصوا جيدا معنى الانتداب كشكل جديد من اشكال القيمومة والحماية الكولونياليتين»(١٢٩) . ولا تدعو الى سخرية اقل آراء جريدة الـ «تايمس» التي اعادت نشرها حتى جريدة "Indian Daily Times"(١٣٠) والتي ترى «اسباب الفوضى في ميسوبوتاميا» في «طبع العرب» الذي «يتنافى» مع النظام أياً كان . فقد اكدت الجريدة ان «ميسوبوتاميا كانت دائما مسرحا للاضطرابات الكبيرة ، وان ما يحدث اليوم من فوضى (هناك ـ ك.م.) ليس سوى استمرار للامس . فان سكان

(١٢٩) المصدر نفسه ، ص١٤٧ . أشارت صحافة الثورة نفسها الى شيء من هذا القبيل .

(١٣٠) في عددها الصادر يوم ٥ تشرين الاول ١٩٢٠ .

ميسوبوتاميا لا يثقون بأي سلطة كانت ... ان العرب لا يثقون بأحد» (!!) . وكما يذكر المؤلف يبدو ان هذه الحجة لم تشف غليل الصحيفة الانكليزية فوصمت سكان الرافدين ، الى جانب ذلك ، بالتعصب الاعمى الذي تجسد أكثر ــ برأي الجريدة ــ لان انفجار الثورة صادف ايام رمضان[١٣١] «حيث يزداد تعصب المسلمين بشكل خاص»[١٣٢] . وبالاضافة الى مثل هذه الامثلة ذات الدلالة يحدد المستشرق الارمني السوفيتي الطابع السطحي والاستعلائي لمعظم الدراسات الغربية التي تعرضت لموضوع «ثورة العشرين» .

من المواضيع المهمة الاخرى التي يناقشها الدكتور اوهانيسيان صدى احداث العام ١٩٢٠ في انكلترا والتي ولدت رد فعل قويا بين اوساط سياسية مختلفة ، بحيث لم يقتصر الأمر على الفئات الليبرالية التي سئمت الحرب وآثارها الاقتصادية ، بل شمل المحافظين أيضا ولكن من منطلق آخر تماما . فالاوساط اليمينية كانت متذمرة لان حكومة لويد جورج لم تستطع ضمان

---

(١٣١) في الواقع صادف اليوم الاول من رمضان العام ١٩٢٠ التاسع من آيار ، وهذا يعني ان الثورة عندما اندلعت كان قد مضى على انتهاء العيد حوالي ثلاثة اسابيع .

(١٣٢) ن . و . اوهانيسيان، حركة التحرر ــ الوطني في العراق، ص١٤٨ . في تعليلات ارنولد ولسن لاسباب الثورة اشارات مشابهة لتلك التي أوردتها جريدة الـ «تايمس» ، فهو بدوره يرى احد دوافع انفجار الشعب العراقي في «نفوذ مجتهدي الشيعة المعادي» والذين «كانوا ــ كما يدعي ــ ضد جميع الحكومات منذ أيام الخلافة»
(A.T.Wilson, Op. Cit., P. 312)

الاستقرار في بلاد مابين النهرين • وقد عبرت الصحافة الانكليزية عن التذمر الناجم عن الوضع في العراق بأشكال وأساليب مختلفة • فوصمت جريدة الـ «تايمس» في عددها الصادر يوم ٧ آب ١٩٢٠ «سياسة الحكومة تجاه ميسوپوتاميا» بالغباء وطالبت بأعادة النظر فيها •

اما جريدة الـ «اوبزيرڤر» فانها اعتبرت في عددها الصادر يوم ٢٣ آب ١٩٢٠ ان من المضحك «التفكير في ان واجبنا الاساسي هو فرض قوانيننا على شعب بين لنا بوضوح تام انه ليس بحاجة لها» • وجاء أبلغ تعبير حول الموضوع نفسه على لسان جريدة الـ «ساندى تايمس» التي ذكرت في عددها الصادر يوم ٢٣ آب ١٩٢٠ ما نصه :

«أو ليس من الافضل لنا ان نعترف بفشلنا ونكف عن التدخل في حياة ثلاثة ملايين عربي يودون شيئا واحدا فقط : التمتع بأمكانات تسمح لهم بأن يصبحوا سادة مصيرهم ؟ • ان روما لم تضمحل عندما تنازل ادريانوس عن فتوحات ترايانوس[١٣٣]» •

---

(١٣٣) في هذا التشبيه تكمن بلاغة الجريدة . فمن المعروف ان امبراطور روما ترايان (او ترايانوس Traianus) قد حقق خلال فترة حكمه (٩٨ ـ ١١٧م) فتوحات واسعة امتدت الى مناطق شرقية مختلفة ، الا ان خلفه الامبراطور ادريان (او أدريانوس ـ هدريانوس Hadrianus) (١١٧ ـ ١٣٨م) تنازل عن ممتلكات الامبراطورية في الشرق وذلك بسبب عدم توفر الامكانات الضرورية التي تتيح له الحفاظ على تلك المناطق .

ولكن لم يكن من السهل على البورجوازية الانكليزية التنازل عن بلاد ما بين النهرين ، لذا سرعان ما اتخذت انتقادات قطاعات كبيرة من المعارضة «طابع النصح» وهذا ما دفع الاوساط الحاكمة للاستمرار على سياستها الرامية الى قمع «ثورة العشرين» مهما كلف الامر . فقد اعلن وزير الخزانة چمبرلن صراحة انه «ليس من سبيل آخر سوى الاستمرار على زيادة القوات (العاملة في العراق ــ ك.م.) الى ان يتم القضاء على الانتفاضة نهائيا» . وجاءت صياغة رئيس الوزراء للموضوع نفسه اكثر وضوحا حتى من ذلك عندما قال : «يجب الا يخامرنا التفكير على اي حال في ترك ميسوبوتاميا خوفا من المصروفات الباهظة» ذلك لان بأمكان هذه البلاد «ان تكون ثمينة جدا بالنسبة لنا»(١٣٤) .

ومن بين القضايا الاخرى التي يناقشها الدكتور اوهانيسيان موضوع اشتراك الاكراد في «ثورة العشرين» والعوامل التي أدت الى ان يكون ذلك الاشتراك محدودا(١٣٥) .

موقع الاكراد في «ثورة العشرين»

عالج صاحب هذا البحث موضوع اشتراك الاكراد في

---

(١٣٤) ن . و . اوهانيسيان، حركة التحرر ــ الوطني في العراق، ص١٦٥ .

(١٣٥) المصدر نفسه ، ص١٦٠ ــ ١٦٣ .

«ثورة العشرين» في بعض من دراساته باللغة الروسية[١٣٦] . ومهما كان حجم ذلك الدور فان له أهميته التاريخية كنقطة بداية في اطار العمل الثوري العربي ـ الكردي الموحد موجه المستعمر ، وتكتسب دراسته اهمية علمية لعدم القاء الضوء الكافي عليه حتى الان .

ان «ثورة العشرين» كأي حادثة اجتماعية تأثرت عضويا بعوامل معينة حددت مسارها أو هيأت الظروف لقيامها . وكان أحد هذه العوامل النضال المرير الذي خاضه الشعب الكردي في العراق ضد المحتلين الانكليز قبيل العام ١٩٢٠ . فلم تمض اكثر من ستة أشهر على فرض السيطرة البريطانية في الايام الاخيرة للحرب العالمية الاولى على المناطق الشمالية حتى انتفضت عشيرة گويان ضدها ، كما اغتيل عدد كبير من الضباط الانكليز في مناطق مختلفة من باديتان . وفي أواخر ربيع العام ١٩١٩ انتفضت مناطق واسعة ضد الانكليز بقيادة الشيخ محمود الذي كان يتمتع بسمعة كبيرة بين رجال الفكر في أواسط وجنوب البلاد ، ولا سيما بعد اشتراكه مع العشائر العربية في موقعه شعيبة ضد الانكليز في بداية الحرب العالمية الاولى .

انتشرت انباء الانتفاضات الكردية بسرعة بين الناس في

---

(١٣٦) تطرق صاحب هذا البحث الى موضوع «ثورة العشرين» اكثر من مرة ضمن دراساته التي نشرها باللغة الروسية. كما نشر تقريظا حول الطبعة الاولى من كتاب الدكتور عبدالله الفياض «الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠» (بغداد ، ١٩٦٣) وذلك في العدد الخامس (١٩٦٤) من مجلة «اسيا وافريقيا اليوم» وهي من منشورات أكاديمية العلوم السوفيتية .

المناطق الاخرى واصبحت حديث مجالسها السياسية ، خاصة وان الاستياء من الانكليز اتخذ بالتدريج طابعا جماهيريا شاملا. وقد ساعدت أحداث كردستان على كشف القناع عن وجه المحتل الجديد وسياسته الماكرة كما بينت أنه لا يستطيع باسلحته الفتاكة فرض ارادته على الجماهير . وهي بهذا لعبت ، كما يذكر ل . ن . كاتلوف ، «دورا كبيرا في تهيئة الجماهير الكادحة من عربية وكردية للمعارك المقبلة ضد المحتلين»(١٣٧) . ومن هنا ظهرت اولى بوادر التفاعل العضوي بين النضال التحرري للشعبين في مرحلته الجديدة والتي انتقلت أيام «ثورة العشرين» الى أسلوب عملي انعكس في شكل محدود من النضال المشترك لقواهما الوطنية .

غير ان اشتراك الاكراد في «ثورة العشرين» اتخذ في الغالب طابعا عفويا ، مع ان قادة الثورة قدروا الى حد ما أهمية اشتراك العشائر الكردية المسلحة فيها(١٣٨) . وقد جاء اشتراكهم على اي حال باشكال متباينة(١٣٩) . ففي بغداد اشتركت الاوساط الكردية في المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية التي نظمت هناك قبيل الثورة وفي أيامها(١٤٠) . وكما يشير الاستاذ رفيق حلمي ،

---

(١٣٧) ل . ن . كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ ، ص١٠٦ .

(١٣٨) راجع : عادل غنيمة ، تطور الحركة الوطنية في العراق ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٩ .

(١٣٩) هنا نتطرق الى الموضوع بشكل مركز لانه بحاجة الى بحث مستقل .

(١٤٠) ينقل الاستاذ رفيق حلمي في مذكراته صورا واقعية عن احداث صيف العام ١٩٢٠ في بغداد وذلك لاشتراكه فيها.

أحد السياسيين الاكراد النشيطين يومذاك ، في مذكراته اشترك مصطفى بك الذي كان من الاكراد المعروفين في بغـــداد ، في النشاطات المعادية للانكليز أيام الثورة بحماس • حتى انه تعرض الى الملاحقة بسبب ذلك • وكان جلال بابان واحدا من مؤسسي « حرس الاستقلال » القلائل • وتعاون حمدي بابان بدوره مع المعارضة الوطنية في بغداد قبيل وأيام الثورة • وقد حاول عدد من الوطنيين الكرد من أمثال رفيق حلمي والمحامي فائق توفيق (المعروف بفائق طابو) اقامة نوع من الصلات مع قادة الثـــورة في بغداد عن طريق مصطفى بك الانف الذكر(١٤١) •

ومنذ شهر آب ، ولا سيما بعد ان انتقلت نيران الثـــورة الى منطقة ديالى ، انتفضت بعض العشـــائر الكردية في مناطق خانقين وكفري ، منها عشيرة دلو وقسم من عشيرة الجاف بقيادة ابراهيم خان وويس بك(١٤٢) اللذين تمكن رجالهما من تحرير بلدة كفري التي ادت أحداثها الى مقتل حاكم المدينة السياسي الكابتن سالمون (G. H. Salmon) • وتوترت الاوضاع في منطقة أربيل بسرعة حيث لم تؤد محاولات السلطات البريطانية

---

(١٤١) للتفصيل راجع : رفيق حلمي ، يادداشـــت (المذكرات) ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص٧٦ — ٧٧ ، ٨٢ •

(١٤٢) للتفصيل راجع : عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق، ص١٨٥ — ١٨٦ ، مكرم الطالباني ، ابراهيم خان ثائر من كردستان ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص٧٢ — ١٠٣ (يذكر المؤلف خطأ ان بداية الانتفاضة في منطقة كفري كانت في أواخر تشرين الاول) ،

S. H. Longrigg, Op. Cit., pp. 124 — 125.

الى عزلها عن أحداث الثورة في الوسط والجنوب • فقبل ان تتخذ الثورة طابعها المسلح عقد أهالي أربيل أكثر من اجتماع عبروا فيه عن تأييدهم المطلق لمطاليب قادتها في بغداد • وفي ١٢ آب ١٩٢٠ دبرت جماعة من سكان المدينة هجوما خاطفا في مضيق رواندوز على حاكم المدينة السياسي الكابتن هيي الذي نجا من الموت باعجوبة • كما جرت محاولات عديدة لاغتيال مساعده • وبامكان ما يرويه الكابتن هيي في مذكراته عن تلك الايام اعطاء فكرة واضحة عن الوضع في منطقة اربيل • يقول هيي ما نصه :

« •• لقد غدت سلطاتي كضابط سياسي معدومة عمليا ، ومن جراء الخدمات الطيبة التي قدمها كل من خورشيد آغا وأحمد أفندي تمكنت من ممارسة بعض النفوذ » • كما يذكر أيضا ان الناس بدأوا يتوقعون هروبه في كل لحظة ، خاصة بعد ان اضطر البريطانيون لنقل موجودات الخزينة من أربيل الى كركوك(١٤٣) ، كما تم فعلا اجلاء العديد من الموظفين الانكليز من المدينة • وبسبب الظروف المتوترة هذه اضطر الحاكم البريطاني العام ارنولد ولسن للسفر الى أربيل بطائرة خاصة في ٨ أيلول حيث اجتمع بالمسؤولين وبكثير من سكان المدينة الذين القى فيهم خطابا مطولا تحدث فيه عن « الانتصارات الكبرى » التي احرزتها القوات البريطانية في مناطق الفرات الاوسط وأشار

---

(١٤٣)

W. R. Hay, Two years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer 1918 — 1920, London, 1921, pp. 325 — 326.

بشكل خاص الى « هدوء الوضع في السليمانية »[١٤٤] . ولكن بالرغم من ذلك لم تمر سوى أيام معدودات على عـودة الحاكم العام الى بغداد حتى تم الكشف عن خطة لطرد الانكليز واقامة حكم محلي مما أجبر المسؤولين على ارسال قوتين من كركوك والموصل تمكنتا بمساعدة بعض العشائر الموالية في منطقة دزه يي من اعادة السيطرة البريطانية على المدينة[١٤٥] . ولكن ظل الناس ينظرون بازدراء الى الانكليز ، وبصورة خاصة الى الذين كانوا يتعاونون معهم من السـكان الاصليين[١٤٦] . وليس أدل على ذلك مما أبداه حاكم المدينة من قلق على مصير ولسن أثناء زيارته لاربيل مع ان ثلاث طائرات حربية رافقته الى هناك ، كما اتخذت اجراءات واسعة لضمان سلامته[١٤٧] .

صحيح ان الاوضاع لم تكن متوترة في السليمانية ومـا والاها بالقياس مع معظم المناطق الاخرى ، ذلك لانه لـم تكن قد انقضت بعد سوى اشهر قلائل على الضربة القوية التي وجهتها القوات الانكليزية الى حركة الشيخ محمود في هذه الاصقاع ، كما تمكن حاكم المدينة الميجر سون من التأثير على أوساط متنفذة

---

(١٤٤) راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalities, London, 1930, p. 288

(١٤٥) راجع :
A. L. Haldane, Op. Cit., pp. 246 — 247; W.R.Hay, Op. Cit., pp. 333, 345.

(١٤٦) راجع : W. R. Hay, Op. Cit., p. 239

(١٤٧) Ibid, pp. 333, 335 — 337

فيها وضمن ولاء العديد من رؤساء العشائر للسلطة بحيث قام بابكر آغا البشدري بارسال عدد من رجاله المسلحين الى المدينة تحسبا للطوارىء[١٤٨] • وكل ذلك يدل على ان الوضع في السليمانية لم يكن هادئا بالشكل الذي صوره ولسن لسكان أربيل • فبالرغم من حالة الجزر التي أصابت الحركة الوطنية في المنطقة الا ان اوساطها المثقفة (بما في ذلك الفئات الموالية للحركة الكمالية في تركيا) استقبلت أنباء الثورة بارتياح كبير • وقد شهدت بعض نواحيها حركات عفوية معادية للانكليز في تلك الايام ، كما حدث في سنگاو مثلا • وقد اضطر الكابتن ليز للذهاب من السليمانية على رأس قوة عسكرية الى هناك حيث اتصل بالشيخ عبدالقادر وتمكن من ارجاع الامور الى وضعها الطبيعي[١٤٩] • ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى قامت مجموعة من أفراد عشيرة دزلي المعروفة بموالاتها للشيخ محمود بالهجوم على دار السيدة المتنفذة المؤيدة للانكليز خان بهادر عادلة الجاف في حلبجة فقامت طائرتان حربيتان بتدمير قريتي بارام آوا وبلخه وقرى أخرى في منطقة هەورامان[١٥٠] •

---

(١٤٨) أشارت الى ذلك
"Journal of the Central Asian Society" London, Vol. XV, pt. III, 1928, pp. 266 — 268.
(راجع كذلك : ل . ن . كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية — التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، ص١٣٩) .

(١٤٩) راجع جريدة «پێشكەوتن» (التقدم) ، السليمانية ، العدد ١٨ ، ٢٦ آب ١٩٢٠ . كان الانكليز هم الذين يصدرون هذه الجريدة .

(١٥٠) «پێشكەوتن» ، العدد ٢٢ ، ٢٣ أيلول ١٩٢٠ .

كانت الاوضاع متوترة في كويسنجق وروانـدوز ، خاصة بعد ان تمردت عشيرة سورچي المعروفة ضد الانكليز ، فقـام رجالها في الاول من ايلول ١٩٢٠ بتحرير باتاس ومن هناك اتجهوا الى روانـدوز حيث حاصروا قوة الليڤي[١٥١] المعسكرة بداخلها والتي تمكنت من الانسحاب بصعوبة وبعد معركة فقدت فيها ١٨ من أفرادها[١٥٢] . انسحب الانكليز من كويسنجق كذلك ، وقام رجال العشائر بقطع اسلاك الاتصال الهاتفي التي كانت تربطهـا باربيـل .

توترت الاوضاع في بعض مناطق بادينان كذلك ، وقـد وقعت معركة كبيرة بين رجال العشائر الكردية وجنود الليڤي في منطقة واقعة الى الشمال الشرقي من الموصل وذلك في اواسط أيلول من العام ١٩٢٠ وقد اسفرت عن الحاق خسائر جسـيمة بالاكراد تقدرها بعض المصادر بحوالي ٢٠٠ اصابة قتل ٦٠ منهم وغرق الاخرون في الزاب الكبير[١٥٣] .

---

(١٥١) «الليڤي» (Levy) أي المجنـدون ، قوة عسكريـة شكلتها السلطات البريطانية لتحل محل قواتها العاملة في العراق وذلك بهدف تقليص مصروفاتها العسـكرية فـي البلاد . كان من المقرر ان يكون ضباطهـا مـن الانكليـز وجنودها من السكان المحليين . الا ان الاخيرين اتخـذوا موقفا سلبيا من تشكيلات «الليڤي» التي اقتصرت الى حد كبير على الاثوريين الذين استغل المسؤولون الانكليز ظروفهم العصيبة واتبعوا معهم اساليب شتى لدفعهم الى صفوفها.

(١٥٢) راجع : A. L. Haldane, Op. Cit., P. 246

(١٥٣) Ibid, p. 247 ، «العالم العربـي» ، بغـداد ٥ كانون الثاني ١٩٣٢ .

وفي كردستان كذلك وقف العديد من رؤساء العشائر ومتنفذي المدن الى جانب الانكليز ولعبوا دورا كبيرا في الحيلولة دون انتشار نيران الثورة الى مناطق كثيرة • كما انهم اسهموا فعلا في قمع بؤر الثورة وبوادرها هنا وهناك مثلما سبقت الاشارة الى بعض شواهده • والى جانب ذلك تمكن الانكليز من تحريك بعض العشائر الكردية الايرانية ايضا ضد الثوار • فمثلا تمكن القنصل البريطاني في كرمنشاه من توجيه رجال عشيرتي سنجاوي وكلهور ضد ابناء عشيرة دلو كما ارسل عددا من « المتطوعين » من افراد الكلهور للقيام بحراسة منشآت النفط في منطقة نفطخانة القريبة من الحدود(١٥٤) •

هكذا نجد صورة مصغرة لاحداث « ثورة العشرين » في المناطق الكردية التي لم تبق ، ولم يكن بالامكان ان تبقى بعيدة عن آثار الاحداث الكبيرة التي هزت المناطق الاخرى من البلاد• والواقع انه لولا الظروف الخاصة التي حددت افق تفكير القيادتين العربية والكردية فضلا عن بعض العوامل الاخرى ، لكان في الامكان تطوير الاحداث في كردستان بشكل اكثر فاعلية ، وهو أمر كان يخشاه المحتلون كثيرا لما كان ينطوي عليه من مضاعفات متوقعة • ومع ذلك فان «ثورة العشرين» دشنت بداية جديرة للنضال العربي ــ الكردي المشترك الذي تحول الى عنصر محرك أساسي لمجمل حركة التحرر ــ الوطني في العراق •

---

(١٥٤) راجع :
P. W. Ireland, Op. Cit., P. 270; A. L. Haldane, Op. Cit., pp. 158 — 160.

ملاحظـات وانتقادات

بالرغم من جميع جوانب القوة التي تشكل الصفة الغالبة للدراسات السوفيتية عن «ثورة العشرين» ، فانها لا تخلو ، مع ذلك ، من بعض الثغرات والهفوات التي نجم قسم كبير منها عن عدم توفر امكانات الاطلاع المباشر للباحثين السوفيت على مصادر أصيلة مهمة عنها ترجع الى ايام الثورة نفسها ، وبشكـل خاص صحافة الثورة وبياناتها مع فتاوى ونداءات قادتها(١٥٥) وكذلك الصحافة الموالية للانكليز والتي كانت تصدر في بغـداد وهي جميعها مليئة بالمواد والحقائق والمعلومات المتباينة التي من شأنها القاء الضوء على امور كثيرة ظلت جوانب منها غامضة بالنسبـة للمستشرق السوفيتي • فعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنـا موضوع تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية على المد الثوري الذي شهده العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة •

لا شك في ان ثورة اكتوبر كأول ثورة اشتراكية في العالم قد تركت آثارا واضحة على ميزان القوى على الصعيد الدولي وعلى النضال التحرري للشعوب المستعمرة وشـبه المستعمرة •

---

(١٥٥) صدرت في النجف صحيفتان ناطقتان بلسان الثورة هما «الاستقلال» و «الفرات» ، ومع انه صـدرت مـن الاولى ثمانية اعداد ومن الثانية خمسة اعداد فقط ، الا انها تأتي على رأس قائمة المصادر الاصيلة عن «ثورة العشـرين» • ولكن الى جانب هاتين الصحيفتين أصدر الثوار مناشـير عديدة ضمت اخبار القتال وتوجيهـات القـادة واهداف الثـورة .

وبالنسبة للعراق تتوفر مصادر كثيرة ، معظمها انكليزية سرية ، تشير بوضوح الى مثل ذلك التأثير و «بوجه خاص» لان بفضل «الثورة البلشفية» تم الكشف عن «المعاهدات السرية المعقودة بين فرنسا وانجلترا عام ١٩١٦ لتقسيم المشرق العربي»(١٥٦) . وتتوفر عشرات الادلة المقنعة التي تظهر بوضوح مدى الخوف الذي انتاب المسؤولين الانكليز من جراء ذلك . وهنا يجدر بنا ان نشير الى دليل جديد ذي مغزى عميق في هذا المجال . فقد حدد تقرير لوزارة الحرب البريطانية في ١٧ شباط ١٩٢١ العوامل التي تجعل من الامير فيصل مرشحا مفضلا لعرش العراق ، ومنها «عدم اتفاقه مع البلشفيك» مما يجعل من اختياره ملكا «ذا اثر كبير» للحيلولة ــ كما جاء في التقرير ــ دون انتشار النفوذ البلشفي في المنطقة(١٥٧) . ولم يأت ذلك عبثا ، فأن بعض قادة الحركة الوطنية في العراق اجروا اتصالات مباشرة مع السلطة الجديدة في روسيا منهم عدد من زعماء «ثورة العشرين» المنفيين (الخالصي والصدر)(١٥٨) وكذلك الزعيم الكردي الشيخ محمود

---

(١٥٦) «آفاق عربية» ، بغداد ، العدد الثالث ، تشرين الثاني ١٩٧٦ ، ص٣ ــ ٤ .

(١٥٧) F. O. 371/6349

(١٥٨) في البحث الذي نشرناه بعنوان «حقائق اخرى عن مؤتمر شعوب الشرق» («آفاق عربية» ، العدد ١٢ ، ١٩٧٦) اشرنا الى المذكرة التي بعثتها «لجنة الدفاع الوطني» في تشرين الاول ١٩٢٢ الى وزير الخارجية السوفيتي لرفعها الى مؤتمر لوزان احتجاجا على عقد المعاهدة البريطانية ــ العراقية وهي كانت بتوقيع (الصدر ، الخالصي ، حلمي =

وغيرهم(١٥٩) .

ولكن مهما كان ذلك التأثير كبيرا في اطار الترابط الافقي بين الاحداث التأريخية فانه لم يبلغ حد ان يتوجه « الشخصية الدينية والسياسية المعروفة الخالصي » الى «صورة لينين» قائلا : «ان الشرق الذي ايقظته ينتظر الفرصة لكي يحقق أفكار حياتك حول اتحاد شعوب الشرق ، حول حق كل انسان ، بله كل شعب، كبيره او صغيره ، متحضره او متأخره ، في الحياة والاستقلال» .

بقي ان نعرف ان مؤلفي كتاب «العراق بالامس واليوم» يذكران مثل هذا القول الخطير في مجاله دون الاستناد الى اي

= وآخرون) . بعد نشر البحث أكد احد الاخوان المتصلين بأسرة السيد ياسين الهاشمي وعلى لسانها ان الموقع الثالث على المذكرة حلمي هو ياسين الهاشمي . ومع ان حلمي كان لقبا مركبا لياسين الهاشمي في بداية شبابه ، الا ان الوقائع التاريخية تلقي ظلالا من الشك على هذا الامر ، ذلك لان ياسين الهاشمي كان لتوه قد رجع من سوريا الى العراق بعد محاولات مضنية أسفرت اخيرا عن موافقة الملك فيصل والانكليز على عودته . ولقد اتبع الهاشمي آنذاك سياسة حذرة وذكية أهلته لان يتبوأ كرسي الوزارة لاول مرة في نفس الشهر الذي بعث فيه الساسة المنفيون بمذكرتهم الى مؤتمر لوزان (للتفصيل راجع : سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ – ١٩٣٦ ، الجزء الاول ، البصرة ، ١٩٧٥ ، ص٢٩ ، ١١٢–١٣٥) .

(١٥٩) للتفصيل راجع : «آفاق عربية» ، العدد ١٢ ، آب ١٩٧٦ ، ص٩٢ – ٩٣ ، «الثقافة الجديدة» ، بغداد ، العدد ٢٩ ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص١٦٢ – ١٦٣ .

مصدر موثوق ، بل وحتى غير موثوق[١٦٠] . والاغرب عندي ان الدكتور فيدچينكه نقل عنهما هذا القول مع تغيير «بسيط» هو ان الخالصي «كتب ذلك الى لينين»[١٦١] .

فلو اطلع المستشرقون السوفيت على ما كتبته صحافة «ثورة العشرين» عن «ثورة البلاشفة» لجاءت تقييماتهم حول الموضوع بشكل اعمق واكثر واقعية . فقد كتبت جريدة «الفرات» النجفية في عددها الثاني (٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨) تقول «لا تزال تخامرنا الشبه والشكوك في حقيقة امر البلشفيك وفي مبلغ اخلاص نياتهم وذلك قبل الاطلاع على مقاصدهم الحقيقية ، والوقوف على المظهر الذي سيظهرون به في ايران ، ومن جملة ما يحملنا على الشك فيهم استبدادهم الظاهر وعدم سماحهم لكل من حكومات آذربيجان وارمينيا بالتمثيل» . وكتبت الجريدة نفسها في عددها التالي (٥ ذي الحجة ١٣٣٨) تقول :

«استاء الشعب الايراني من الاتفاقية المشهورة بين الحكومتين الايرانية والانگليزية (العام ١٩١٩ ـ ك٠م٠) ، وتهدد هاتين الحكومتين بالثورة الداخلية فانتهز البلشفيك هذه الفرصة واخرجوا جيوشا كبيرة في انزلي واحتلوها ... وقد تقهقرت القوة الانگليزية المرابطة في شمال ايران امامهم بدون

---

(١٦٠) ي . ميلوڤانوڤ و ف . سيف الملوكوف ، المصدر السابق ، ص١١٦ . ونحن نؤكد ما ذكرناه مع ان الخالصي كان واحدا من اكثر مثقفي العراق اطلاعا على أوضاع المنطقة وحقيقة الثورة الاشتراكية الاولى ، وآثارها على فئات اجتماعية ايرانية مختلفة .

(١٦١) أ . ف . فيدچينكه ، المصدر السابق ، ص١٦ .

محاربة ، فعلى هذا اصبح القطر العراقي مهددا بغزوات البلشفيك من شرقه وشماله ، اما القوات الانكليزية الموجودة في العراق فأنها ستنسحب امام تقدم البولشفيك وتترك حبل البلاد على غاربها فيلزمنا الان لتقرير خطتنا النهائية وتأمين مستقبلنا تجاه هذا الموقف الحرج وذلك اما بان نحارب البلشفيك مع الانكليز، بعد أخذ الضمانات الكافية من هؤلاء للاستقلال ، او بان نحارب الانكليز مع البلشفيك» • ولا ينكر ، مع ذلك ، ان الجريدة نفسها قد اقرت في عددها الثاني المنوه عنه ان « الثورة البلشفية ••• اصبح تأثيرها عاما هاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون » • كما ان هناك من المصادر ما تشير الى ان الثوار في بغداد طبعوا منشورات هددوا الحكومة البريطانية فيها بانهم سيتعاونون مع البلشفيك اذا امتنعت هي عن منحهم الاستقلال التام(١٦٢) • وهذا يبدو منطقيا كتكتيك التجأ اليه الثوار للضغط السياسي على الانكليز الذين لم يخفوا مخاوفهم من البلاشفة •

وهنا يجدر بنا ان نشير الى ان المصادر والوثائق والدراسات السوفيتية قاطبة تخلو من ادنى اشارة الى مساعدات مالية ابدتها السلطة الجديدة في روسيا الى ثوار العشرين • وهي من الامور غير القابلة للاخفاء • فمثلا تتوفر بين أيدينا عشرات المصادر التي تؤكد بشكل خاص على المساعدات التي قدمها السوفيت الى الحركة الكمالية في تركيا • من هنا فأننا لا نرى

(١٦٢) للتفصيل اكثر راجع : الدكتور عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص٢٨٣ — ٢٨٨ •

داعيا لمحاولة بعض المؤلفين «اثبات» امر لم يرد عكسه في الجانب المقابل[١٦٣] .

من المآخذ المهمة الاخرى التي تستحق التسجيل هنا ان بعض الدراسات السوفيتية المبكرة نظرت الى الفلاح العراقي بمنظار اوروبي ، وادانت بعض الفئات الاجتماعية العليا اكثر مما تستحق او تتحمل في ظروف العراق المحددة آنذاك . فأن نضال الفلاحين ، وبكل اسف ، لم يتخذ في ايام الثورة «طابعا عفويا معاديا للملاكين » ولم يستطع ان يتحول الى « نضال من اجل الارض» وبشكل «يدخل الرعب في القمة البورجوازية ــ الاقطاعية » كما يذكر ليڤين[١٦٤] . الا ان الدراسات السوفيتية المتأخرة عن حركة التحرر ــ الوطني للشعب العراقي صححت مثل هذه الهفوات . ومن الجدير بالذكر ان گوركو ــ كرياجين هو واحد من المستشرقين السوفيت الذين تعرضوا فيما بعد للانتقاد بسبب بعض من آرائهم وتقييماتهم الخاطئة[١٦٥] . فقد ورد ، مثلا ، في بحثه عن «ثورة العشرين» مثل هذا «المصطلح» : «الاكراد نصف المتوحشين»[١٦٦] الذي يعتبره المؤرخون السوفيت من « انحدار بورجوازي » . وقد ارتكب هو[١٦٧]

---

(١٦٣) راجع على سبيل المثال المصدر نفسه ، ص٢٨٥ .

(١٦٤) ي . ليڤين ، المصدر السابق ، ص٥١ .

(١٦٥) راجع : ن . أ . كوزنيتسوڤا و ل . م . كولاگينا ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(١٦٦) ڤ . أ . كرياجين ، المصدر السابق ، ص٢٣٧ .

(١٦٧) يشكو گوركو كرياجين بنفسه من عدم توفر معلومات كافية لدراسة جميع أوجه النضال التحرري للشعب العراقي آنذاك .

وغيره من المستشرقين اخطاء كبيرة في تحديد اسماء الاعلام والمواقع ، وفي عرض بعض الحوادث والارقام • فلم يكلف قمع «ثورة العشرين» الانگليز مليون جنيه استرليني كما يذكر ب•م• دانتسيگ(١٦٨) ، ولا يمكن الاتفاق مع ن • م • اوهانيسيان في ان الكرد « لم يشتركوا » في الثورة (١٦٩) ، ولا مع ل•ن• كاتلوف في ان ما انجز من سكة حديد بغداد قبيل الحرب «وجه ضربة قوية» الى اعمال النقل «بواسطة العربات والدواب وكذلك النقل بالقوارب عبر دجلة» علما بانه يذكر أن ما تم تشييده من الخط المذكور آنذاك اقتصر على ما كان يربط بين بغداد وسامراء فقط(١٧٠) • وكان في الامكان تقديم صورة اعمق عن عوامل ما يمكن وصفه بالخمول الثوري في بعض المناطق من خلال النظر الى التباين في شكل الملكية بين مناطق الفرات الاوسط والمناطق المجاورة في حوض دجلة حيث كان رؤساء العشائر والملاكون بشكل عام مرتبطين بخيوط الالتزام الموقت مع خزينة الدولة التي استغلت هذه الناحية منذ اواخر العهد العثماني للحد من تحركات هؤلاء(١٧١) • في الامكان ايراد أمثلة اخرى من هذا النوع •

---

(١٦٨) ب . م . دانتسيگ ، العراق ... ، ص٢٣ .

(١٦٩) ن . و . اوهانيسيان ، نضال القوى الديمقراطية ... ، ص٢٥ .

(١٧٠) ل . ن . كاتلوف ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، ص٥٥ .

(١٧١) هذا ما أكده لي السيد مجيد الخليفة ردا على استفساري منه حول سبب عدم اشتراكه هو ورجاله في «ثورة العشرين» .

الاستنتاج الاخير

لا يمكن للملاحظات التي ابديناها ان تنتقص من الاهمية العلمية للدراسات السوفيتية عن «ثورة العشرين» • فان مجموعة كبيرة من المستشرقين السوفيت بذلوا جهودا مثابرة لدراستها باسلوب موضوعي ، وتوصلوا الى استنتاجات مهمة عن العوامل التي ادت الى انفجار الثورة وطبيعة القوى التي اسهمت فيها واسباب فشلها في تحقيق غاياتها الاساسية وبالشكل الذي ارادته القوى الوطنية العراقية المخلصة • وبذا جاءت دراساتهم على طرفي نقيض مع آراء معظم المؤرخين والمؤلفين الغربيين الذين تحدثوا عن الثورة بشكل او باخر • واخيرا فان مثل ذلك الاهتمام الكبير الذي اولاه مثل ذلك العدد الكبير من المستشرقين السوفيت(١٧٢) لاحداث «الثورة العراقية الكبرى» انما يدل على الوزن الكبير الذي يتمتع به النضال التحرري للشعب العراقي والذي دشنت «ثورة العشرين» بداية مرحلته الجديدة التي افضت في نهاية الامر الى تحرير العراق من ربقة الاستعمار •

---

(١٧٢) الى جانب العدد الكبير من المستشرقين السوفيت الذين عرضنا جوانب من آرائهم ودراساتهم عن «ثورة العشرين»، فقد تطرق الى الموضوع نفسه مستشرقون معتبرون آخرون منهم گ . ي . ميرسكي في كتابه «العراق في الفترة المضطربة ١٩٣٠ — ١٩٤١» ، موسكو ، ١٩٦١ .

المراجـــــع

«الاعلام» للزركلي ، الجزء الثالث ، الطبعة الثانية ، بيروت .

«آفاق عربية» ، مجلة ، بغداد ، الاعداد ٢ ، ١٩٧٥ ، ٣ و ٩ و ١٢ ، ١٩٧٦ ، ٩ ، ١٩٧٧ .

«پێشکەوتن» (التقدم) ، جريدة ، السليمانية ، ١٩٢٠ .

«الثقافة الجديدة» ، مجلة ، بغداد ، العدد ٢٩ ، ١٩٧١ .

رفيق حلمي ، يادداشت (المذكرات) ، باللغة الكردية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٥٦ .

سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ ــ ١٩٣٦ ، الجزء الاول، البصرة ، ١٩٧٥ .

سميلانسكايا ي . م . ، التاريخ الاقتصادي للدول العربية ، ترجمة الدكتور فاروق صالح العمر ، ــ مجلة «المورد» ، بغداد ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، ١٩٧٧ .

الدكتور صالح جواد كاظم ، عن ثورة العشرين وبعدها القومي ، ــ «العراق» ، بغداد ، ٣٠ حزيران ١٩٧٧ .

عادل غنيمة ، تطور الحركة الوطنية في العراق ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

«العالم العربي» ، جريدة ، بغداد ، كانون الثاني ، ١٩٣٢ .

عبدالله الفياض ، الدكتور ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٤ .

عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، الطبعة الثالثة الموسعة ، صيدا ، ١٩٧٢ .

عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ ــ ١٩١٧ ، بغداد ، ١٩٥٩ .

علي آل بزركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٤ .

علي الوردي ، الدكتور ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، بغداد ، ١٩٧٧ ،

الجزء السادس ، بغداد ، ١٩٧٦ .
فريق المزهر ، ال فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ .
كوركيس عواد ، الاب انستاس الكرملي . حياته ومؤلفاته ، بغداد ، ١٩٦٣ .
محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٢٥ .
مكرم الطالباني ، ابراهيم خان ثائر من كردستان ، بغداد ، ١٩٧١ .

باللغة الروسية

آداموف أ. ، العراق العربي . ولاية البصرة في امسها ويومها ، بطرسبورغ ، ١٩١٢ .
كمال مظهر أحمد ، الدكتور ، الانتفاضة الكبرى ، ـ مجلة «اسيا وأفريقيا اليوم» ، موسكو ، العدد الخامس ، ١٩٦٤ .
اليتوفسكي س.ن ، القضية الزراعية في العراق المعاصر ، موسكو ، ١٩٦٦ .
«الانسكلوبيديا التاريخية السوفيتية» ، الجزء السادس ، موسكو ، ١٩٦٥ .
«الانسكلوبيديا السوفيتية الصغرى» ، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٥٩ .
«الانسكلوبيديا السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثانية ، الجزء الثامن ، موسكو ، ١٩٥٣ .
«الانسكلوبيديا السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثالثة ، الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٧٢ .
اوهانيسيان ن.و. ، حركة التحرر ـ الوطني في العراق (١٩١٧ ـ ١٩٥٨) ، يريفان ، ١٩٧٦ .
اوهانيسيان ن.و. ، نضال القوى الديمقراطية العراقية من اجل الغاء الانتداب الانكليزي (١٩٢٠ ـ ١٩٣٢) ، في كتاب : «بلدان وشعوب الشرقين الادنى والاوسط» ، يريفان ، ١٩٦٧ .

«تاريخ حركات التحرر ـ الوطني والحركات العمالية العالمية» ، الطبعة الاولى ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٦٢ ، الطبعة الثالثة ، موسكو ، ١٩٦٩ .
بارتولد ف. ، الاكاديمي ، تأريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، لينينغراد ، ١٩٢٥ .
دانتسيگ ب.م. ، البروفيسور ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، موسكو ، ١٩٦٥ .
دانتسيگ ب.م. ، البروفيسور ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، موسكو ، ١٩٧٣ .
دانتسيگ ب.م. ، البروفيسور ، العراق . دراسة جغرافية مختصرة ، موسكو ، ١٩٥٥ .
دانتسيگ ب.م. ، البروفيسور ، العراق في الماضي والحاضر ، موسكو ، ١٩٦٠ .
شرباتو= گ . ، الاستعراب في الاتحاد السوفيتي ، موسكو ، ١٩٥٩ .
« العراق المعاصر » ، مجموعة مؤلفين ، موسكو ، ١٩٦٦ .
كاتلوف ل.ن ، الانتفاضة الوطنية ـ التحررية للعام ١٩٢٠ في العراق ، موسكو ، ١٩٥٨ .
كاتلوف ل.ن ، نشوء حركة التحرر ـ الوطني في المشرق العربي (أواسط القرن التاسع عشر ـ ١٩٠٨) ، موسكو ، ١٩٧٥ .
كاتلوف ل.ن ، النضال التحرري ـ الوطني للشعب العراقي قبيل انتفاضة ١٩٢٠ .
كارسون ن.گ. ، المشرق العربي . العراق ، موسكو ، ١٩٢٨ .
كراچكوفسكي أ.ي. ، الاكاديمي ، دراسة عن تأريخ الاستعراب الروسي ، ـ «المؤلفات المختارة» ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٥٨ .
كوزنيتسوفا ن.أ. وكولاگينا ل.م. ، من تاريخ الاستشراق السوفيتي ، موسكو ، ١٩٧٠ .
گوركو كرياجين ف.أ. ، حركة التحرر ـ الوطني في المشرق

العربي ـ بلاد ما بين النهرين ، ـ ((الشرق الجديد)) ، الكتاب الثاني ، موسكو ١٩٢٢ .
گوركو كرياجين ف.أ. ، المشرق العربي والامبريالية ، موسكو ، ١٩٢٦ .
ليبيديف يو ، المهندس ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، بطرسبورغ ، ١٩٠٨ .
ليڤين ي. ، العراق . ميسوبوتاميا المعاصرة ، موسكو ، ١٩٣٧ .
مانڤييف ك.پ (بارمتاي) ومار يوحنا ي.ي. ، القضية الاثورية خلال وبعد الحرب العالمية الاولى ، موسكو ، ١٩٦٨ .
مصطفى كمال (أتاتورك) ، طريق تركيا الحديثة ، الجزء الاول ، موسكو ، ١٩٢٩ .
ميرسكي گ.ي. ، العراق في الفترة المضطربة (١٩٣٠ـ١٩٤١) ، موسكو ، ١٩٦١ .
ميلوڤانوف ي. وسيف الملوكوف ف. ، العراق أمس واليوم ، موسكو ، ١٩٥٩ .
مينتيشاشڤيللي أ.م. ، العراق في سنوات الانتداب الانكليزي ، موسكو ، ١٩٦٩ .
فيدچينكه أ.ف. ، العراق في النضال من أجل الاستقلال ، موسكو ، ١٩٧٠ .

★ ★ ★

Abgar G. W., The Matenadaran , Erevan , 1962.
Foster H. L. , The Making of Modern Iraq , Oklahoma, 1935.
Haldane A.L., The Insurrection in Mesopotamia, Edinburgh , 1922 .
Hay W.R., Two years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer 1918 - 1920 , London , 1921 .

Ireland P. W. , Iraq . A study in political development, London, 1937.

" The letters of Gertrude Bell " , London , 1930.

Longrigg S . H . , Iraq 1900 to 1950 , third impression, London, 1968.

" The Public Record Office " , London , F. O. 371/6349 .

Wilson A. T., Loyalities Mesopotamia 1914 — 1917 . A personal and historical record , London , 1930 .

Wilson A. T., Mesopotamia 1917 - 1920 . A calsh of loyalities . A personal and historical record , London , 1931 .

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
نقص	٣	٣	تقص
المتفرع	٢٢	٦	المتفرغ
133	٢٩	٢١	113
بين	٣٤	١١	بيد

المحتويات

مقدمة	٣
لمحة عن الاستعراب الروسي والسوفيتي	٥
العراق في الاستشراق الروسي والسوفيتي	١٧
« ثورة العشرين » في الاستشراق السوفيتي	٢٧
ثورة ام انتفاضة	٢٧
اول دراسة موضوعية عن « ثورة العشرين »	٢٨
رسالة علمية عن « ثورة العشرين »	٤٠
بين الوردي وكاتلوف	٦٢
« ثورة العشرين » في آخر دراسة سوفيتية	٦٧
موقع الاكراد في « ثورة العشرين »	٧١
ملاحظات وانتقادات	٨٠
الاستنتاج الاخير	٨٧
المراجع	٨٨
جدول الخطأ والصواب	٩٣

د . کەمال مەزهەر ئەحمەد

شۆڕشی بیست

لـە

ڕۆژهەلاتناسیی سۆڤیەتدا

ـ بە زمانی عەرەبی ـ

بەغدا ، ١٩٧٧

Dr. Kamal M.A.

The Iraqi Revolution of 1920

As Understood by Soviet

Orientalists

BAGHDAD, 1977

ثمن النسخة ٣٠٠ فلس

٤٫٠٠٠ نسخة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(٨٧٦) لسنة ١٩٧٧

ثمن النسخة ٣٠٠ فلس

طبع الغلاف بمطبعة العزاوي ـ بغداد